الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الفلسفة

مذكرة بعنوان:

العنف عند فرانز فانون وآثاره وإسقاطاته على الكولونيالية المعاصرة

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطلبة:

- شيماء بوضبية
- زهيرة خلايفة

إشراف الأستاذ:

- عبد الناصر – قاسمي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
حوري بديع الزمان	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي –
عبد الناصر – قاسمي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي –
بسي محمد العيد	أستاذ محاضر أ	مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر –الوادي –

السنة الجامعية: 2024 /2025

إهـــــداء

قال تعالى : (قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب

النهار إلا بطاعتك . . ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك . . ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك . . . ولا تطيب الجنة إلا

برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة . . ونصح الأمة . . إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار . . إلى من أحمل أسمه بكل افتخار . .

وسنبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة . . إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني . . إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان

دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة

إلى منارة العلم والعلماء إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة . .

أساتذتنا الأفاضل

شيماء وزهيرة

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله والشكر لله أولا وأخيرا على أن منّ علينا بنعمة العلم وألهمنا الصبر والسداد لإنجاز هذا العمل.

ونشكر والدينا على دعمهم ومساندتهم لنا طوال المشوار الدراسي ونسأل الله لهم دوام الصحة والعافية.

كما نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتنا الكرام الذين لم يبخلوا علينا بعلمهم وخبرتهم ونصائحهم القيمة، ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل المشرف على هذا العمل لما قدمه لنا من توجيهات سديدة وملاحظات قيّمة كان لها الأثر الكبير في إثراء هذا البحث.

ولا يفوتنا أن نشكر إدارة الكلية والقائمين عليها لما وفروه من بيئة علمية محفزة ساهمت في تيسير رحلتنا التعليمية.

والشكر موصول إلى زملائنا وزميلاتنا الذين كانوا خير عون لنا خلال مسيرتنا الدراسية، ولكل من مد لنا يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة أو دعوة صادقة.

وأخيراً، نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين.

شيماء وزهيرة

الملخـــص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم العنف في فكر فرانز فانون وتتبع إسقاطاته وآثاره على الكولونيالية المعاصرة. استخدمت الدراسة المنهج التحليلي النقدي من خلال قراءة متعمقة لأعمال فانون وأبرزها "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" و"معذبو الأرض"، بالإضافة إلى المنهج التاريخي لتتبع تأثير أفكاره على حركات التحرر والمقاومة المعاصرة. تم الاعتماد على مصادر أصلية تمثلت في كتابات فانون ومراجع ثانوية تناولت تحليل فكره وإسهاماته في نظرية ما بعد الاستعمار. خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

- ✓ اعتبار فانون للعنف أداة ضرورية للتحرر وليس غاية في ذاته، ومرحلة انتقالية نحو استعادة الذات والوعي للشعوب المستعمرة
- ✓ وجود أبعاد متعددة للعنف في فكر فانون: نفسية، اجتماعية، سياسية وثقافية، وارتباطها بجدلية العلاقة بين المستعمر والمستعمر
- ✓ استمرارية العنف بأشكال جديدة في ظل الكولونيالية المعاصرة من خلال آليات اقتصادية وثقافية وسياسية
- ✓ تأثير أطروحات فانون على الحركات التحررية العالمية مع تطور أشكال المقاومة لتشمل بدائل غير عنيفة في السياق المعاصر

الكلمات المفتاحية :فرانز فانون، العنف، الكولونيالية، الاستعمار، التحرر، المقاومة، الهوية، ما بعد الاستعمار.

Abstract

This study aims to analyze the concept of violence in Frantz Fanon's thought and trace its projections and effects on contemporary colonialism. The study employed a critical analytical approach through an in-depth reading of Fanon's works, notably "Black Skin, White Masks" and "The Wretched of the Earth," in addition to a historical approach to track the influence of his ideas on contemporary liberation and resistance movements. The study relied on original sources represented in Fanon's writings and secondary references that analyzed his thought and contributions to postcolonial theory. The study concluded with several key findings:

- ✓ Fanon's consideration of violence as a necessary tool for liberation rather than an end in itself, and as a transitional phase towards the restoration of self and consciousness for colonized peoples
- ✓ The existence of multiple dimensions of violence in Fanon's thought: psychological, social, political, and cultural, and their connection to the dialectical relationship between the colonizer and the colonized
- ✓ The continuity of violence in new forms under contemporary colonialism through economic, cultural, and political mechanisms
- ✓ The influence of Fanon's theses on global liberation movements with the evolution of forms of resistance to include non-violent alternatives in the contemporary context

Key words: Frantz Fanon, violence, colonialism, liberation, resistance, identity, postcolonialism.

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وعرفان

الملخـــــص V

قائمة المحتويات VI

مقدمة 8

الفصل الاول: سيرة فرانز فانون ومسيرته

تمهيد 2

1. حياته 3

2. آثاره 5

ثانياً: مسيرته 9

1. مسيرته التاريخية 9

2. مسيرته الفلسفية والفكرية 15

الفصل الثاني: مفهوم العنف

تمهيد 19

أولاً: العنف عامة 20

1. ماهية العنف 20

1. أنواع العنف 22

ثانياً: العنف عند فرانز فانون 25

2. أبعاد العنف في فكر فانون 27

ثالثاً: دور العنف في النضال ضد الاستعمار 29

1. العنف كضرورة تاريخية 29

2. نقد نظرية العنف عند فانون 30

خلاصة الفصل الثاني 33

الفصل الثالث: إسقاطات العنف وآثاره على الكولونيالية المعاصرة 34

تمهيد: 35

أولاً: آثار العنف 35

1. الآثار النفسية والاجتماعية..... 36

2. الآثار السياسية والاقتصادية... 38

ثانياً: العنف والكولونيالية 40

1. الكولونيالية الجديدة وأشكالها المعاصرة..... 41

2. استمرارية العنف في ظل الكولونيالية الجديدة... 43

ثالثاً: تطبيقات نظرية فانون في الواقع المعاصر 46

1. حركات التحرر والمقاومة المعاصرة... 46

2. البدائل المعاصرة للعنف كأداة للتغيير... 50

الخاتمة..... 55

قائمة المراجع..... 59

مقدمة

شهد القرن العشرون تحولات جذرية في علاقات القوى العالمية، حيث مثّلت حركات التحرر الوطني نقطة تحول في تاريخ الشعوب المستعمرة. وفي خضم هذه التحولات، برز مفهوم العنف كإشكالية فلسفية وسياسية عميقة، تتجاوز كونها مجرد ظاهرة اجتماعية لتصبح أداة للتحرر ووسيلة لاستعادة الذات والهوية. ويعد العنف من أكثر القضايا إثارة للجدل في الفكر السياسي والفلسفي المعاصر، خاصة في سياق العلاقة بين المستعمر والمستعمر.

في هذا السياق، يبرز فرانز فانون (1925-1961) كأحد أهم المفكرين الذين قدموا تحليلاً عميقاً لبنية الاستعمار وآلياته، وطوروا نظرية متكاملة حول دور العنف في تحقيق التحرر من نير الاستعمار. فقد استطاع فانون، بحكم خلفيته كطبيب نفسي ومشاركته المباشرة في الثورة الجزائرية، أن يقدم رؤية فريدة تجمع بين التحليل النفسي والسياسي للظاهرة الاستعمارية وتداعياتها على المجتمعات المستعمرة.

لقد تميز فكر فانون بتشخيصه الدقيق للآثار النفسية والاجتماعية للاستعمار، وتحليله لديناميكيات العلاقة بين المستعمر والمستعمَر، وطرحه لمفهوم العنف الثوري كضرورة تاريخية لتحرير الشعوب المقهورة. وعلى الرغم من مرور أكثر من ستين عاماً على وفاته، لا تزال أطروحاته حاضرة بقوة في النقاشات المعاصرة حول الاستعمار والتبعية والتحرر، خاصة في ظل استمرار أشكال الهيمنة الاستعمارية في صور جديدة تتجاوز السيطرة المباشرة على الأراضي إلى أشكال أكثر تعقيداً من الهيمنة الاقتصادية والثقافية والسياسية.

في ظل التحولات العميقة التي شهدتها مجتمعات العالم الثالث في مرحلة ما بعد الاستعمار، ومع تصاعد موجات العولمة وتزايد الاهتمام بدراسات ما بعد الكولونيالية، تبرز الحاجة الملحة إلى إعادة قراءة فكر فرانز فانون واستنطاق أطروحاته حول العنف لفهم الأشكال المعاصرة للهيمنة الاستعمارية وتحليل آليات المقاومة الممكنة. إن استعادة التراث الفكري لفانون لا تقتصر على قيمته التاريخية، بل تكتسب راهنية خاصة في ظل المتغيرات الجيوسياسية الراهنة وتنامي حركات المقاومة والتحرر في مختلف أنحاء العالم.

إشكالية البحث

في ضوء ما سبق، تتبلور الإشكالية المركزية لهذه الدراسة في السؤال التالي:

- **كيف يمكن فهم نظرية العنف عند فرانز فانون وتحليل أبعادها وإسقاطاتها على أشكال الكولونيالية المعاصرة؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية المركزية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

1. ما هي الأسس الفلسفية والنفسية التي بنى عليها فانون نظريته حول العنف، وكيف ارتبطت بتجربته الشخصية وسياقه التاريخي؟
2. كيف ميز فانون بين أشكال العنف المختلفة (العنف الاستعماري، العنف الثوري، العنف البنيوي)، وما هي جدلية العلاقة بينها؟
3. إلى أي مدى يمكن اعتبار أطروحة فانون حول ضرورة العنف الثوري صالحة في سياق العلاقات الدولية المعاصرة، وما هي حدودها؟
4. كيف تتجلى أشكال العنف الكولونيالي في العصر الراهن، وما هي آليات مقاومتها في ضوء فكر فانون؟
5. ما هي البدائل المعاصرة التي يمكن استلهامها من فكر فانون لمواجهة أشكال الهيمنة الكولونيالية الجديدة، وهل ثمة إمكانية لتجاوز منطق العنف؟

فرضيات البحث

تنطلق هذه الدراسة من الفرضيات الأساسية التالية:

1. توجد علاقة جدلية بين العنف الاستعماري والعنف المضاد في فكر فانون، حيث يعتبر العنف المضاد استجابة ضرورية وحتمية للعنف الاستعماري.
2. تتجاوز نظرية العنف عند فانون البعد المادي المباشر لتشمل أبعاداً نفسية واجتماعية وثقافية عميقة ترتبط بإعادة بناء الذات المستعمرة.
3. رغم التحولات التي شهدها النظام العالمي، لا تزال أشكال الهيمنة الكولونيالية حاضرة في صور جديدة تستدعي إعادة قراءة أطروحات فانون حول العنف وآليات المقاومة.
4. تتطلب مواجهة أشكال الكولونيالية المعاصرة تطوير استراتيجيات مقاومة متعددة تجمع بين البعد التحرري في فكر فانون وآليات المقاومة السلمية والقانونية.

مبررات اختيار الموضوع

أ. المبررات الذاتية:

1. الاهتمام الشخصي بفكر فرانز فانون وإسهاماته في تحليل الظاهرة الاستعمارية وآليات التحرر.
2. الرغبة في فهم جذور العنف في المجتمعات المعاصرة وعلاقته بالإرث الاستعماري.
3. السعي لتطوير رؤية نقدية للأشكال المعاصرة للهيمنة العالمية واستراتيجيات مقاومتها.

ب. المبررات الموضوعية:

1. راهنية موضوع العنف والاستعمار في سياق التحولات الجيوسياسية المعاصرة وتصاعد الصراعات حول العالم.
2. أهمية إعادة قراءة التراث الفكري لفانون في ضوء تطور دراسات ما بعد الكولونيالية ونظريات التحرر.
3. الحاجة إلى تجاوز القراءات الاختزالية لفكر فانون التي تركز على العنف المادي دون الأبعاد النفسية والاجتماعية في نظريته.
4. ضرورة تحليل الأشكال الجديدة للكولونيالية وتطوير أدوات مفاهيمية لفهمها ومقاومتها.

أهمية البحث وأهدافه

أ. أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولتها تقديم قراءة معمقة ومعاصرة لنظرية العنف عند فرانز فانون، تتجاوز القراءات التبسيطية التي تختزل فكره في الدعوة إلى العنف المادي. كما تسعى الدراسة إلى تحليل إسقاطات هذه النظرية على الأشكال المعاصرة للهيمنة الكولونيالية، واستكشاف آليات المقاومة الممكنة في سياق النظام العالمي الراهن.

وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة في الوقت الراهن، حيث تشهد العديد من مناطق العالم اضطرابات وصراعات ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالإرث الاستعماري، وتتزايد أشكال الهيمنة الاقتصادية والثقافية التي تعيد إنتاج علاقات التبعية بين الشمال والجنوب العالمي. في هذا السياق، يمكن لفكر فانون أن يقدم أدوات تحليلية قيمة لفهم هذه الظواهر وتطوير استراتيجيات لمواجهتها.

ب. أهداف البحث:

1. تحليل نظرية العنف عند فرانز فانون وفهم أبعادها النفسية والاجتماعية والسياسية.
2. دراسة العلاقة الجدلية بين العنف الاستعماري والعنف المضاد في فكر فانون.
3. الكشف عن مظاهر الكولونيالية المعاصرة وآليات اشتغالها في ظل النظام العالمي الراهن.
4. تحليل إسقاطات نظرية فانون على الصراعات المعاصرة وحركات المقاومة والتحرر.
5. استكشاف البدائل المعاصرة للعنف كأداة للتغيير، وإمكانية الجمع بين الأبعاد التحررية في فكر فانون وآليات المقاومة السلمية.

منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة على مناهج متعددة ومتكاملة:

1. **المنهج التحليلي** :لتفكيك نصوص فانون وفهم بنيتها المفاهيمية وأطروحاتها الأساسية حول العنف والاستعمار، وتحليل الأبعاد النفسية والاجتماعية والسياسية لنظريته.
2. **المنهج النقدي** :لمساءلة أطروحات فانون حول العنف وتقييم حدودها وإمكانية تطبيقها في السياق المعاصر.
3. **المنهج التاريخي** :لفهم السياق التاريخي الذي نشأت فيه أفكار فانون، وتتبع تطورها وتأثيرها على حركات التحرر والمقاومة.
4. **المنهج المقارن** :لإجراء مقارنات بين مفهوم العنف عند فانون ومفاهيم أخرى في الفكر السياسي والفلسفي المعاصر، ومقارنة أشكال العنف الاستعماري التقليدي بأشكاله المعاصرة.

ويتيح هذا التكامل المنهجي فهماً أعمق وأشمل لنظرية العنف عند فانون وإسقاطاتها المعاصرة، ويساعد على تجاوز القراءات الاختزالية لفكره.

صعوبات البحث

واجهت هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات، أبرزها:

1. تعدد المقاربات والقراءات لفكر فانون، وتباين مواقف الباحثين من أطروحاته حول العنف، مما يتطلب جهداً مضاعفاً للتمييز بين القراءات الموضوعية والقراءات المتحيزة.
2. صعوبة الفصل بين الأبعاد النظرية والعملية في فكر فانون، نظراً لارتباط نظريته بتجربته المباشرة في الثورة الجزائرية.
3. تعقد مفهوم الكولونيالية المعاصرة وتعدد مظاهره وآلياته، مما يجعل تحديد إسقاطات نظرية فانون عليه مهمة شائكة.
4. ندرة الدراسات العربية المعمقة التي تتناول فكر فانون من منظور فلسفي ونقدي، وتربطه بالسياق المعاصر.

هيكلة البحث

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول أساسية:

الفصل الأول: سيرة فرانز فانون ومسيرته يتناول هذا الفصل السيرة الذاتية لفرانز فانون، ويستعرض نشأته وتكوينه وتجربته في الجزائر، كما يقدم عرضاً لأهم مؤلفاته وإسهاماته الفكرية. ويتطرق أيضاً إلى مسيرته التاريخية والفكرية، مع التركيز على تأثره بتيارات فلسفية مختلفة وإسهاماته في نظرية ما بعد الاستعمار.

الفصل الثاني: العنف يخصص هذا الفصل لتحليل مفهوم العنف بشكل عام، من خلال استعراض تعريفاته المختلفة وأبعاده وأنواعه. ثم ينتقل إلى تحليل معمق لمفهوم العنف عند فرانز فانون، وتمييزه بين العنف الاستعماري والعنف الثوري، وتصوره لدور العنف في النضال ضد الاستعمار. كما يتضمن هذا الفصل نقداً لنظرية العنف عند فانون وبيان حدودها.

الفصل الثالث: إسقاطات العنف وآثاره على الكولونيالية المعاصرة يركز هذا الفصل على تحليل آثار العنف النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ثم ينتقل إلى دراسة العلاقة بين العنف والكولونيالية المعاصرة، وتحليل أشكال الكولونيالية الجديدة وآليات اشتغالها. كما يتناول هذا الفصل تطبيقات نظرية فانون في الواقع المعاصر، من خلال تحليل تأثيرها على حركات التحرر والمقاومة، واستكشاف البدائل المعاصرة للعنف كأداة للتغيير.

وتختتم الدراسة بخلاصة تركيبية لأهم النتائج والاستنتاجات، وتقدم آفاقاً جديدة للبحث في موضوع العنف والكولونيالية.

الفصل الاول

سيرة فرانز فانون ومسيرته

تمهيد

سنتناول في هذا الفصل سيرة المفكر والثوري فرانز فانون ومساره الفكري والنضالي، قصد تقديم صورة متكاملة عن حياته وإسهاماته الفكرية والسياسية، باعتبارها المدخل الضروري لفهم نظريته حول العنف وإسقاطاتها على الكولونيالية المعاصرة. ففي المبحث الأول، سنعرض سيرته الذاتية ومؤلفاته الأساسية، متتبعين مراحل حياته منذ نشأته في المارتينيك، مرورا بدراسته في فرنسا، وصولًا إلى تجربته في الجزائر وانخراطه في الثورة التحريرية، مع التوقف عند أهم إنجازاته الفكرية. أما المبحث الثاني فسيخصَّص لتحليل مساره التاريخي والفلسفي، من مشاركته في الحرب العالمية الثانية وعمله كطبيب نفسي في الجزائر، إلى التزامه بالنضال التحرري وتأثره بالتيارات الفكرية المعاصرة، مع إبراز إسهاماته في بلورة نظرية ما بعد الاستعمار وتأثيره العميق على الحركات التحررية العالمية.

1. حياته

"ولد فرانز فانون Fantzfanon في 20 جويلية 1925 م، بفوردي دي فرانس Fort de France عاصمة المارتينيك ،1الواقعة بالبحر الكاريبي في أمريكا الوسطى، 2 وهو حفيد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون الى جزر الأنتيل 3 افريقيا، وكانت المارتنيك تشكل مع جزر الأنتيل الصغرى منطقة شملتها السيطرة الفرنسية منذ القرون السابع عشر، ونظرا الى أن السكان الأصليين لهذه الجزر قد ازدهرت تجارة الرقيق لتزويد المعمرين البيض بما يحتاجونه من أيد عاملة، وتعود أصوله الى جذور إفريقية عميقة ، وظل أبناء الأفارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون من الاضطهاد ويقومون من حين لآخر بثورات تقمع بشدة ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة وظهور النظريات الاندماجية، توقف ذلك التطور وراح السكان يحلمون بالمساواة المطلقة مع الأوروبيين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي ساهم فيها سكان المارتينيك الى جنب سكان جميع المستعمرات الفرنسية اتخذت بعض التدابير تهدف الى إيجاد تقارب سطحي بين وضعية سكان المارتينيك وسكان "الوطن الأم" وقد أدى ذلك بالإضافة الى محاولة" النخبة" المارتنيكية التنكر لما فيها وزنوجيتها الى عرقلة الكفاح الشعبي" [1]

ب- تعليمه في فرنسا وخبرته الطبية

كان فرانز فانون قد انهى دراسته الابتدائية، وجزءا من دراسته الثانوية، حيث اندلعت الحرب العالمية الثانية، لذا فقد سافر في عام ،1947م الى الدومنيك ليلتحق بالقوات الفرنسية الحرة الى جانب الانجليز والأمريكيين ضد ألمانيا وايطاليا، وقد تطوع استجابة منه لنداء الواجب والضمير باعتباره فرنسيا، متجاوزا بذلك كونه زنجيا أسود، عاش صراعا مريرا مع الرجل الأبيض.

في تعليمه الثانوي درس فانون في ثانوية سكولشير الفرنسية تعلم فيها اللغة الفرنسية الكلاسيكية أين تأثر بشخصيات سياسية، وكان فانون كما يقدمه دافيد ماسي، محبا للمعرفة ومنفتحا على اخرين."

حيث واصل تعليمه في الثانوية، اين تعرف على معلمه ايمي سيزير ،2الذي علمه كيف يطالب بحقوقه ويدافع عنها كفرد "

بعد مشاركة فانون في الحرب عاد الى المارتينيك يوم 04سبتمبر 1945 أين تم انهاء تجنيده بتاريخ 04 جانفي ، 1946 حيث ساهم بحملة انتخابية لصالح أستاذه ايمي سيزر، ثم أكمل فانون دراسته الثانوية ونجح في البكالوريا وحصل على منحة دراسية بصفته محارب سابق وفي عام 1947سافر الى فرنسا عاش في مدينة ليون حياة طالب نشيط مهتم بدراسته في مجال الطب فدرس لدى عالم النفس الاسباني الكبير في فرنسا فرانسوا كتالان، كما كان مولعا بالدراسات الفكرية والفلسفية، فتأثر بالتحليل النفسي والجدلية، وقد سمحت له دراساته بالجمع بين التحليل النفسي والمنهج الماركسي لفهم مأساة الانسان المعاصر والتفكير في أساليب تحريره.

[1] آمنة صيافة وسلمى عفايفية، الثورة الجزائرية في عامها الخامس من خلال كتاب فرانز فانون، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، تخصص المغرب العربي المعاصر، جامعة 8 ماي 1945 – قالمة، 2021/2020، ص06.

هنا اكتشف فانون حقيقة بنية المجتمع الأوروبي عامة والمجتمع الفرنسي وأدرك حقيقة وجوده كالسود اللون لا يعامل مثل الأبيض، حيث أدرك بأنه لا يمكن تحقيق ما يسمى بالمساواة بين الجنسين الأبيض والأسود فالصراع قائم بينهما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن هنا بدأت أولى أفكاره التحررية، كذلك حقيقة اللا مساواة في مجتمع يحتقره لاختلاف اللون لا غير بصرف النظر عن مستواه العلمي والثقافي، هو في نظر الفرنسي زنجي قبل أي شيء اخر حيث يقول: عندما أتحدث الى من يحبونني يقولون إنهم يحبونني على الرغم من لوني وحيثما أتحدث الى من يكرهونني يعتذرون بأنهم لا يكرهونني بسبب لوني وفي كلتا الحالتين أجدني حبيس الحبقة اللعينة إياها "[1]

ت– تجربته في الجزائر ومشاركته في الثورة الجزائرية

التحق بمستشفى الأمراض العقلية في البليدة عام 1953م ، الذي يعتبر أهم مستشفى من نوعه في أفريقيا.

هناك كان يشرف على قسم يوجد به مائة وخمس وستون أوروبيا ومائتا جزائري ، وحاول تطبيق طريقة توسكفيل في العلاج الاجتماعي . اصطدم بصعوبات جمة لأن الأساليب التي جربت مع أوروبيين لا يمكن ان تنجح هي نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم الاجتماعية عن البيئة الأوروبية . وشيئا فشيئا اكتشف فانون ان هذا الاختلاف يرجع الى عوامل وأوضاع سياسية ، كما اكتشف عوامل الجنون التي ترجع الى الوضع السياسي للسكان المحليين ، أي أصناف المرض العقلي التي تسبب فيها الاستعمار .

وليس من المستبعد أن تكون تجربة فانون كطبيب نفسي في الجزائر وخاصة بعد دراسته الحالات المرض بعد قيام الثورة المسلحة ، قد كشفت له عن السداد الطريق الفرنسي بالنسبة لحل المشاكل المتولدة عن الاستعمار . وقد استخلص النتيجة من ذلك ، فكان انضمامه الى الثورة الجزائرية

بعد انضمام فانون للثورة الجزائرية ، كان يتابع نشاطه الفكري على صعيدين مختلفين : فكان يواصل في نطاق اختصاصه دراسته للحالات الهامة ، كما كان بوصفه سياسيا ومناضلا ملتزما ، يعمل على توسيع ثقافته السياسية وتعميقها . [2]

توفي فرانز فانون في 6 ديسمبر/كانون الأول 1961 في مستشفى في بيثيسدا بالولايات المتحدة، حيث كان يتلقى العلاج، ولم يعش ليشهد استقلال الجزائر الذي تحقق بعد وفاته بسبعة أشهر. وبناء على وصيته، نُقل جثمانه إلى الجزائر ودفن في مقبرة الشهداء بعين الكرمة، ليكون أول أجنبي يدفن في هذه المقبرة التي تضم رفات شهداء الثورة الجزائرية. [3]

---

[1] محمد الميلي، المرجع السابق، ص 21. 22

[2] عبد السلام محمد الشاذلي، "فانون في الجزائر: دراسة في فكره السياسي"، دار المعارف، القاهرة، 1970، ص43.

[3] أليس شرشل، "فرانز فانون: سيرة فكرية"، مرجع سبق ذكره، ص203.

شكلت الجزائر مختبراً حياً لأفكار فانون، حيث انتقل من النظرية إلى الممارسة الثورية في تحول جذري. استخدم خبرته الطبية لفضح وتوثيق آثار التعذيب الاستعماري، متحولاً من طبيب محايد إلى مناضل ملتزم بقضية شعب ليس شعبه الأصلي.[1]

2. آثاره

أ– كتاب "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" (1952)

كتاب بشرة سوداء وأقنعة بيضاء:

وهو أول كتاب له، بين فيه تأثيرات العنصرية في شخصية الزنوج المغلوبين على أمرهم وتكمن قوة الكتاب في تمكن الكاتب كأخصائي مثقف صدر عام 4590 في باريس ولفت الأنظار كما عدد أثار الاستعمار والعنصرية وتحدث عن العقد وبين الاضرار النفسية للتعبير العرقي على المستعمر والمستعمر على حد سواء، وذلك من خلال دراسات أقامها على مرض من كلا الطرفين 3ويبرز فانون محاولة تخلص الزنوج من عقدتهم اتجاه البيض من خلال ارتدائهم اللباس الأوروبي واخر الموضات واستعمال الأشياء التي يستخدمها ومماثلته في متساوي بالأوروبي، ويرى فانون في هذا السلوك أنه أحد الأساليب لتلخيص الزنجي من عقدته ويشبه اتقان لغة الأبيض بالمفتاح الذي يفتح له الأبواب المغلقة في وجهة.

لم يتلخص فانون من عقدته وشعوره باحتقار الأوروبي الأبيض له رغم انخراطه في الحركات اليسارية واحتكاكه بمحرري مجلتي Présence Africanو Espritورغم ثقافته العالية ونضالاته من أجل انتصار الفكرة الشيوعية التي يؤمن بها، ولعل تتأخى الطبقة العاملة دون أي تميز في اللون أو العرق، ويبدو أن فانون قد وصل الى درجة اليأس لتخليص الزنجي من عقدته ما دام من المستحيل عليه تغيير بشرته السوداء1.

ومنه نلتمس أن فانون كان يدعو لمبدأ الاتحاد والمساواة بين الأبيض والأسود، باعتبار هذا الأخير مواطن فرنسي لكنه يصطدم بواقع xمفر منه فالأسود لا يمكن أن يكون مثل الأبيض بحكم ثقافته ولكن بسب لونه وهو ما يبرزه قوله: "إن اليهودي يصبح غير محبوب ابتداء من وقت التعرف عليه أما بالنسبة الى فليس لي أية فرصة في أن أمر دون أن أعرف أنا محدد من الخارج، فأنا لست عبدا للفكرة التي يحملها الاخرون في لكني عبد لصورة مظهري. [2]

ب– كتاب "معذبو الأرض" (1961)

يعدّ كتاب معذبو الأرض، الصادر في نوفمبر 1961 قبيل وفاة فرانز فانون بأيام قليلة، من أبرز مؤلفاته وأكثرها تأثيراً وانتشاراً. فقد صاغ فيه رؤيته الفلسفية والسياسية حول الاستعمار وآليات التحرر والثورة، مستنداً إلى

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، بيروت: دار الفارابي، 1983، ص. 51–65 .

[2] آمنة صيافة وسلمى عفايفية،المرجع السابق ص 13.14.

تجربته الفكرية والعملية، وإلى مشاركته المباشرة في الثورة الجزائرية، حيث شكّل هذا العمل خلاصة لمساره النضالي والنظري في آن واحد.[1]

صدر الكتاب بمقدمة قوية لجان بول سارتر، ساهمت في انتشاره العالمي وتأثيره على جيل كامل من المناضلين والمفكرين في العالم الثالث وحركات الحقوق المدنية في الغرب. يبدأ الكتاب بتحليل بنية العنف الاستعماري، موضحاً كيف أن العنف متأصل في النظام الاستعماري ويشكل أساس العلاقة بين المستعمر والمستعمر. يرى فانون أن 'عالم المستعمر عالم مقسم قسمين... ومفصول بثكنات ومخافر الشرطة'. هذا التقسيم المكاني ليس مجرد تقسيم جغرافي، بل هو تقسيم وجودي وأنطولوجي يرسخ نظاماً عنصرياً يحدد مسبقاً كيفية الوجود في العالم. في هذا النظام العنصري، ينظر إلى السكان الأصليين كجزء من 'الطبيعة'، ويتم تجريدهم من إنسانيتهم ووصفهم بأوصاف حيوانية. [2]

يطرح فانون في هذا الكتاب أطروحته الشهيرة حول العنف التحرري، حيث يرى أن العنف الثوري ليس مجرد وسيلة سياسية أو عسكرية، بل هو عملية تطهيرية تساعد المستعمر على استعادة كرامته وتحطيم الصورة الدونية التي زرعها فيه الاستعمار. يكتب فانون: إن تحرير الإنسان المستعمر هو تدمير للنظام الاستعماري: بنياته، وقيمه المستحدثة، وإدارته المطمئنة، وطبقاته الاقتصادية ويؤكد فانون أن 'العنف وحده، العنف الذي تمارسه الشعوب، العنف المنظم والمفسَّر بذكاء، يمكنه أن يمكّن الجماهير من فك رموز الواقع الاجتماعي، وأن يعطيها المفتاح لفهمه'. إن العنف الثوري في نظر فانون هو أكثر من مجرد رد فعل على عنف المستعمر؛ إنه عملية وعي وتحرر وإعادة تشكيل للذات المستعمرة، عملية يستعيد من خلالها المستعمر فاعليته التاريخية بعد أن سلبه إياها الاستعمار. [3]

في الفصول اللاحقة من معذبو الأرض، يتوقف فانون عند دور النخب الوطنية في مرحلة ما بعد الاستقلال، محذّراً من خطر تحولها إلى بديل للاستعمار في استغلال الشعب. إذ يرى أنّ هذه النخب كثيراً ما «تقدّم نفسها كوسيط ضروري بين الرأسمالية الغربية والاقتصاد "القبلي"»، وأنّ مهمتها التاريخية لا تتجاوز أن تكون حلقة وصل في عملية إعادة إنتاج التبعية، بحيث تضطلع البرجوازية الوطنية بدور مشبوه يتمثل في كونها ناقلاً لبنية الاستغلال الرأسمالي متسترة وراء قناع قومي.

كما يخصص فانون قسما مهما من الكتاب لمناقشة مسألة الثقافة الوطنية، مؤكدا أن بناءها لا يتم عبر النزعة الفولكلورية أو الارتداد المثالي إلى الماضي، بل عبر استلهام النضال الشعبي الحاضر. ويشير إلى أنّ مهمة المثقف الوطني هي دراسة الثقافة ما قبل الاستعمارية لا من أجل إحياء حنين رومانسي، بل من أجل استخراج عناصر فاعلة تساعد على بلورة مشروعٍ ثقافيٍ حيٍ ومتجذّر في الواقع الراهن للأمة.[4]

و في الفصل الأخير من الكتاب المعنون بـ"عن الاضطرابات العقلية والحرب الاستعمارية"، يعود فانون إلى مهنته كطبيب نفسي، مقدماً دراسات لحالات نفسية ناتجة عن العنف الاستعماري والتعذيب. يظهر فانون كيف

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، المرجع السابق، ص. 5.

[2] المرجع نفسه، ص. 5.

[3] فرانز فانون، "معذبو الأرض"، المرجع السابق، ص 05.

[4] فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مرجع سابق ، ص.ص 145-150.

أن الحرب الاستعمارية تنتج اضطرابات نفسية عميقة لدى المستعمرين والمستعمرين على حد سواء. و يقدم فانون في نهاية الكتاب رؤيته لمستقبل العالم بعد تفكك الإمبراطوريات الاستعمارية، داعيا إلى عالم جديد يتجاوز النموذج الأوروبي: 'هلم نترك أوروبا هذه التي لا تكف عن الحديث عن الإنسان بينما تقتله حيثما وجدته... لنحاول أن نخلق الإنسان الكلي الذي تدعو أوروبا إلى تحقيقه'. إنها دعوة لبناء عالم جديد يتجاوز إخفاقات النموذج الأوروبي، ويستعيد الإنسانية التي شوهها الاستعمار. [1]

ت- كتاب "من أجل الثورة الإفريقية" (1964) الذي نشر بعد وفاته :

نشر كتاب "من أجل الثورة الإفريقية" بعد وفاة فانون، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات والخطب التي كتبها ونشرها بين عامي 1952 و1961. يعكس الكتاب تطور فكر فانون من اهتمامه بقضايا العنصرية والهوية إلى انخراطه في النضال التحرري الجزائري، ثم توسيع أفق نضاله ليشمل القارة الإفريقية بأكملها. و يحتل السؤال الإفريقي مكانة محورية في هذا الكتاب، حيث يرى فانون أن 'مشكلة إفريقيا ليست مشكلة قبائل، بل هي مشكلة إفريقيا كلها'. يدعو فانون إلى تجاوز الانقسامات القبلية والإقليمية، مؤكداً على وحدة النضال الإفريقي ضد الاستعمار بأشكاله المختلفة... كما يحلل بعمق استراتيجيات الاستعمار الجديد في تفتيت القارة وإدامة استغلالها، محذراً من خطر استبدال استعمار أوروبي بآخر أمريكي. [2]

يتناول فانون في هذا الكتاب أيضاً دور المثقفين الأفارقة في الثورة، ويطرح رؤيته للثورة الإفريقية باعتبارها جزءاً من نضال عالمي أوسع ضد الإمبريالية. كما أن الكتاب يحتوي على بعض المقالات المهمة التي تتناول تجربة فانون في الجزائر، وتحليله للثورة الجزائرية وتأثيرها على إفريقيا والعالم. وضع فانون القضية الجزائرية في سياقها الإفريقي والعالمي، مبيناً أن 'الاستعمار ليس آلة تفكير، وليس جسداً يتمتع بالعقل. إنه عنف في حالته الطبيعية، ولا يمكنه أن ينحني إلا أمام عنف أكبر'... هذه الرؤية التي تربط النضالات المحلية بالنضال العالمي ضد الاستعمار جعلت من فانون مفكراً عالمياً، وليس مجرد مناضل في قضية محلية. [3]

تبرز في مقالات هذا الكتاب، وخاصة تلك التي كتبها في الفترة الأخيرة من حياته، رؤية فانون للعلاقة بين إفريقيا "البيضاء" (شمال إفريقيا) وإفريقيا "السوداء" (جنوب الصحراء)، حيث يدعو إلى تجاوز هذا التقسيم الاستعماري والاعتراف بوحدة القارة التاريخية والثقافية.

و يرى فانون أن التقسيم بين شمال إفريقيا وجنوبها هو تقسيم استعماري يهدف إلى تمزيق وحدة القارة، في حين أن التاريخ والجغرافيا يشهدان على وحدتها. يدعو فانون إلى 'وعي إفريقي' يتجاوز الحدود المصطنعة التي رسمها

---

[1] المرجع نفسه، ص254.

[2] المرجع نفسه، ص152.

[3] المرجع نفسه، 1983، ص. 41.

الاستعمار، مؤكداً أن مصير شعوب القارة مرتبط ارتباطاً وثيقاً... وأن النضال ضد الاستعمار يجب أن يكون نضالاً موحداً على مستوى القارة. [1]

ث- مقالاته ومحاضراته حول التحرر والاستعمار

بالإضافة إلى كتبه الرئيسية، ترك فانون مجموعة قيمة من المقالات والمحاضرات التي نشرت في صحف ومجلات مختلفة، وخاصة في جريدة "المجاهد" الناطقة باسم جبهة التحرير الوطني الجزائرية. تغطي هذه المقالات طيفاً واسعاً من المواضيع، من التحليلات السياسية المباشرة للوضع في الجزائر وإفريقيا، إلى تأملات أكثر عمقاً حول قضايا الهوية والثقافة والعنصرية والتحرر. [2] و تتميز مقالات فانون في 'المجاهد' بأسلوب مباشر وجماهيري، يختلف عن أسلوبه الأكاديمي في كتبه، فهو هنا يتوجه إلى مناضلي الثورة والرأي العام العالمي. تحمل هذه المقالات نبرة حماسية واضحة، وتهدف إلى تعبئة وتوعية الجماهير حول أهداف الثورة وأبعادها الإنسانية... كما تبرز فيها إدانة فانون القوية للممارسات الاستعمارية الفرنسية، وخاصة التعذيب والإبادة الجماعية. [3]

من أهم مقالات فانون مقاله الشهير "عن العنف"، الذي كتبه عام 1957 رداً على انتقادات المثقفين الفرنسيين للعنف الثوري في الجزائر. ويعد هذا المقال النواة الأولى للفصل الأول من كتاب "معذبو الأرض"، حيث يطرح فانون فكرة أن العنف الثوري هو رد ضروري على العنف الاستعماري البنيوي. [4]ويكتب فانون في هذا المقال: 'الاستعمار ليس آلة للتفكير، وليس جسداً يملك عقلاً. الاستعمار هو العنف في حالته الطبيعية، ولن ينحني إلا أمام عنف أكبر'. هذه الفكرة التي ستصبح لاحقاً من أشهر أفكار فانون، تؤكد على أن العنف ليس خياراً مفضلاً لدى الشعوب المستعمرة، بل هو الوسيلة الوحيدة المتاحة للتحرر في ظل نظام استعماري لا يعترف بالحوار. [5]

كما ترك فانون مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في مؤتمرات دولية مختلفة، خاصة خلال الفترة التي عمل فيها سفيراً للحكومة المؤقتة الجزائرية في غانا. من أشهر هذه المحاضرات تلك التي ألقاها في المؤتمر الثاني للكتاب والفنانين السود في روما عام 1959، والتي تناول فيها العلاقة بين الثقافة الوطنية والنضال التحرري. [6]

في هذه المحاضرة، يطرح فانون فكرة أن 'الثقافة الوطنية تحت الاستعمار هي ثقافة متنازع عليها، وتطورها وازدهارها مرتبطان بنضال التحرر'. يرفض فانون فكرة وجود 'ثقافة إفريقية' موحدة ومتجانسة، مؤكدا أن الثقافة مرتبطة بالنضال التحرري للشعوب، وأن النضال نفسه هو الذي يشكل الثقافة الوطنية الحقيقية. إنه بذلك ينتقد

---

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، مرجع سابق ، ص182.

[2] Frantz Fanon, Pour la Révolution Africaine: Écrits politiques, Paris: François Maspero, 1964, pp. 15–20..

[3] محمد المليلي، "مواقف جزائرية"، المرجع السابق ، ص142.

[4] عبد الله العروي، "ثقافتنا في ضوء التاريخ"، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص89.

[5] Gérard Chaliand (ed.), *The Wretched of the Earth*, New York: Grove Press, 1963, pp. 35–43.

[6] بيار بورديه، "أسئلة علم الاجتماع"، ترجمة إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995، ص173.

النزعة الفولكلورية للبحث عن "أصالة" مفترضة في الماضي قبل الاستعماري، مشدداً على الطابع الديناميكي والمتغير للثقافة. [1]

كتب فانون أيضاً مقالات مهمة حول الدور السياسي للإذاعة في حرب التحرير، وحول تغير بنية الأسرة الجزائرية خلال الثورة، وحول الطب النفسي في سياق استعماري. تشكل هذه المقالات مدخلاً مهماً لفهم تطور فكر فانون وتصوره لقضايا التحرر والثقافة والهوية. [2]

ثانياً: مسيرته

1. مسيرته التاريخية

أ- مشاركته في الحرب العالمية الثانية

كان فانون في التاسعة عشرة من عمره حين ترك موطنه المارتينيك متوجها إلى دومينيكان ومنها إلى المغرب ليتدرب على حمل السلاح، ثم شارك في معارك الحلفاء ضد النازية في شرق فرنسا. أصيب فانون بجراح في معركة السات (Alsace) سنة 1944، وحصل على وسام الشجاعة من الجيش الفرنسي [3]، وشكّلت تجربة فانون في الحرب العالمية الثانية المرحلة الأولى من صدمته بالنظام الاستعماري، حيث اكتشف التناقض بين الخطاب الفرنسي حول الحرية والإخاء والمساواة وبين الممارسة العنصرية للإدارة الفرنسية تجاه الجنود من المستعمرات [4]

ب- عمله كطبيب نفسي في الجزائر

لقد لقت الثورة الجزائرية دعم من قبل عدة أصدقاء ومثقفين سواء من الجزائريين أم الأجانب الذين ساندوها ودافعوا عن حرية واستقلال شعبها، لكن الشيء الملفت للنظر أنهم من حلب المحتل نفسه الذين يعتبرون أنفسهم فرنسيين فماقوا بفضح الاستعمار من خلال كتاباتهم وهذه النقطة تعتبر خدمة للثورة الجزائرية ومن بين أولئك لأصدقاء فرانز فانون، وقد قدم فانون طلب من أجل الحصول على منصب في مستشفى افريقي من سنغور الذي لم يجبه، قبل عرض من الولاية العامة للجزائر، والتحق بمستشفى الأمراض العقلية بالبليدة عام 4590م، الذي يعتبر أهم مستشفى من نوعه في افريقيا ،1ويتحدث فانون عن اختياره للجزائر حقلا لعمله، فيقول: "وما إن تخرجت من الجامعة حتى اخترت الجزائر العظيمة حقلا لعملي، وما كان اختياري للجزائر حقلا لعملي، إلا أنها التي أجريت فيها أول تجربة لإهدار الحرية، وبإهدار الحرية في الجزائر أهدرت حرية الشعوب الأخرى، في الدنيا الملونة...واني مؤمن أن القضاء على السرطان الأبيض في الجزائر، هو القضاء عليه في نفس الوقت في كل ربوع العالم، وهذا هو السبيل الأمثل لخدمة الإنسانية."

---

[1] فرانز فانون، "معذبو الأرض"، مرجع سبق ذكره، ص201.

[2] محمد شوقي الزين، "فرانز فانون: جدلية الذات والآخر"، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص67.

[3] Alice Cherki, *Frantz Fanon: Portrait*, Paris: Seuil, 2000, pp. 29–32

[4] محمد المنيلي، "المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر وفي الثورة التحريرية"، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص321.

في المصحة العقلية جوانفيل يشتغل منصب طبيب ورئيس مصلحة فكان القسم الذي يشرف عليه يتكون من 022جزائري و 29مريض أوروبي ،وهذا فارق كبير، إن دل على شيء فهو يدل على حجم المعاناة لدى الجزائريين والحالة النفسية المتدهورة جراء ما يشاهد الجزائري كل يوم من أعمال عنف، واضطهاد وخوف ومختلف الأعمال الإنسانية التي يعيشها في مجتمعه وحال وصول فانون الى العيادة قام باكتشاف أمور كثيرة صدمته بفظاعتها حياة داخل المصحة العقلية معاناة نفسية لا توصف ،اصدم بصعوبات جهة لأن الأساليب التي جريت مع الأوروبيين لا يمكن أن تنجح هي نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم الاجتماعية من البيئة الأوروبية وشيئا فشيئا اكشف فانون ان هذا الاختلاف يرجع الى عوامل وأوضاع سياسية كما اكتشف عوامل الجنون التي ترجع الى الوضع السياسي للسكان المحليين، أي أصناف المرض العقلي التي تسبب فيها الاستعمار فقد كانت طرق علاجية تعود للعصور الوسطى أي ممارسة ربط المرضى بالصدار ووضعهم في زنزانات بالقوة وعزلهم بعد تقييدهم وفصلهم عن بعضهم حسب انتمائهم إذا ما كانوا مسلمين أو أوروبيين. حاول فانون تطبيق طريقة توسكيل في العلاج الاجتماعي لكنه اصطدم بالعديد من الصعوبات ،وقد أراد اظهار ما يعرف عن هذا الاستعمار للعيان، ومكافحته عن طريق مساعدة الضحايا على تمالك أنفسهم خلال وعيهم بسبب مرضهم، ثم مشاركتهم في الكفاح ضد مسببات هذا المرض[1].

كان فانون دائم الاحتكاك بالجزائريين ينظم الورشات وينشط فريق كرة القدم وجريدة محلية، ويجول في منطقة المتيجة لتفهم التقاليد السائدة للتكفل بالاضطرابات العقلية، وقد وقع صدام بينه وبين السلطات الفرنسية بسبب هذه النشاطات . كانت معاملة الجزائريين له سببا في تعلقه الكبير بالمجتمع الجزائري لأنه وجد معاملة مختلفة عن تلك التي عهدها من قبل حيث كان السكان في المارتنيك يعتبرون الرجل الأبيض الأذكى والأقوى والأفضل والأحسن دائما فيما الرجل الأسود هو العبد الضعيف والأمي المتخلف.

لقد كان فانون شاهد على انطلاق الثورة التحريرية، ولم يكن يعلم عنها شيء ولكنه اهتز طربا بالانطلاقة الشعبية الجبارة، ورأى فيها مهارة التخطيط وحكمة التدبير، وإصرار الشعب على الحياة أو الموت...وكان بحكم عمله واقامته بالج ازئر يتابع باهتمام بالغ أحداث الثورة وتطوراتها السياسية والعسكرية، وكان يشاهد بعينه ما تقوم به القوات الفرنسية من أعمال وحشية لا يتصورها العقل، فتطورت بكراهية للاستعمار، من مجرد بغض واحتقار الى إصرار وعمل وموقف إيجابي يفرضه عليه ضميره وحبه للجزائر وتعطشه للحرية . لم يقتصر عمل فانون على الصحة ومعالجة المرضى بل كانت له نشاطات سياسية محليا، في الفرع المحلي لجمعية الصداقة الجزائرية بمساندة المعتقلين كما كانت له نشاطات سرية، حيث كلفه النظام بالجرحى والمناضلين المصدومين من جرائم القمع، وشارك كذلك في جمع الأدوية وارسالها للمقاتلين في الجبال .

[1] آمنة صياقة، سلمى عقايفية، المرجع السابق ص 18-20.

وفي أواخر 4592م، استقال من منصبه كطبيب نفسي، في رسالة 4مفتوحة موجهة الى الوالي العام "لاكوست5 "للتنديد بالفظائع الاستعمارية، والاستقالة من منصب في الوقت نفسه الذي تلقى فيه قرار طرده من التراب الوطني في مطلع سنة 4591م [1].

ت- انخراطه في جبهة التحرير الوطني الجزائرية

انون كان يحاول تشخيص الأمراض التي يعاني منها الشعب الجزائري، والذي اكتشف أن الاستعمار هو سببها، فكان طبيبا نفسيا يتميز بالملاحظة والدقة. واجه فانون في الجزائر ليس فقط علن النفس الكلاسيكي، بل أيضا آراء أطباء الأعصاب العاملين بالجزائر العاصمة حول (بدائية السكان الأصليين،) فسعى لتعديل علاقات المعالجين مع المرضى، سواء كانوا أوروبيين أو جزائريين، وحرص على احترام التقاليد الثقافية الخاصة بالمسلمين فذاع صيته بالمنطقة). (كما أنه أدخل أساليب حديثة للعلاج الاجتماعي والنفسي، وتكييفه مع الخصوصية الاجتماعية لمرضاه من المسلمين الجزائريين (،40)كما أنه اتبع أساليب خاصة للوصول إلى شخصية الجزائري ومع بداية الثورة الجزائرية، استغرب فانون تجاهل الحكومة الاشتراكية بفرنسا، حيال رغبة الجزائريين بالاستقلال، وصارت مواقفه معادية للاستعمار، وأقام صلات مع حركة "**الصداقات الجزائرية** "وهي جمعية إنسانية تهدف إلى تقديم الدعم المادي لعائلات المعتقلين السياسيين، ولها علاقة مع الثوار العاملين في البليدة، وقد طلب منه الاعتناء ببعض المجاهدين الذين يعانون أمراض عصبية .[2]

منذ أن عين فانون بالبليدة أحس لا بمهامه العلاجية وحدها وإن كان قد أفرغ لها كل عنايته وحبه، وإنما أحس أيضا بالانتماء الأصيل إلى الناس المحيطين به وشعر بأن شيئا يربطه بهم، وكأنهم يقاسمون بعض ما يضمره في قلبه وبعض ما يخفيه في طيات وجدانه وقد أرسل فرانز فانون، إلى الوزير المقيم العام سنة 1956م رسالة للاستقالة من منصبه بمستشفى.

الأمراض العقلية بالبليدة، لكي ينظم للثورة الجزائرية التي تأثر بها وأثر فيها. يقول فانون في نص الرسالة

"بطلب مني تفضل السيد وزير الصحة العمومية والإسكان، بقرار صدر بتاريخ22 أكتوبر 1953م، فوضعني تحت تصرف السيد الوالي العام في الجزائر، لألتحق بمستشفى الأمراض العقلية بالجزائر ومنذ تنصيبي في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة في23 أكتوبر 1953م، وأنا أمارس مهنة طبيب رئيس مصلحة، وعلى الرغم من أن الظروف الموضوعية لممارسة الطب النفسي بالجزائر، تعتبر تحديا للمعقول، فقد بدا لي أنه لابد من بذل جهود ضخمة لتغيير أسلوب طبي تتعارض قواعده الذهنية مع المشاريع الإنسانية الحقيقية "

---

[1] آمنة صيافة، سلمى عقايفية، المرجع السابق ص 18-20.

[2] الطاهر خالد، موقف فرانز فانون من الإمبريالية ودعوته لوحدة الشعوب الإفريقية من منبر دبلوماسية الثورة الجزائرية مجلة الونشريس للدراسات التاريخية المجلد: ، 02 العدد: 01 ص 17 - 22.

نستنتج من هنا أن بداية شعور فانون بحقيقة الاستعمار، وما يعانيه الشعب الجزائري من التعذيب والتقتيل الذي مارسه عليه الاستعمار، كما شخص الوضعية الاجتماعية لهم.

واتفق فانون مع الأستاذ مانون Mannoni في توضيح الجانب النفسي الذي يسيطر على عقلية الرجل الأوروبي، عند تعامله مع الرجال الأفارقة سواء كانوا من أبناء الجنوب أو الوسط أو الشمال). (وليس من المستبعد أن فانون كانت تجربته كطبيب نفسي في الجزائر، وخاصة بعد دراسته لحالات المرضى بعد قيام الثورة المسلحة، قد كشفت له إسناد الطريق الفرنسي، بالنسبة لحل المشاكل المتولدة عن الاستعمار، وقد استخلص أن المعالجة النفسية علم طبي مهمته الحيلولة دون أن يحس الإنسان أنه غريب ومن هنا أراد فانون إظهار ما يعرفه عن هذا الاستعمار للعيان، ومكافحته عن طريق مساعدة الضحايا على تمالك أنفسهم خلال وعيهم بسبب مرضهم، (وهو عمله كطبيب نفساني) ثم مشاركتهم في الكفاح ضد مسببات هذا المرض (لوجود الجانب السلبي لعمله.) لقد اختار فانون المجيء إلى البليدة، لكي يفهم في ميدان تأثيرات الاستعمار على الأشخاص وقدرات المقاومة في واحدة من الأراضي الأكثر تضررا في ذلك التاريخ، كما أنه قام بتجارب العلاج بالموسيقى التي أعطت له نتائج مشجعة. وقبل الغوص في الحديث عن انضمام فانون إلى الثورة الجزائرية، يجب أن نقف عند بعض العوامل التي أدت به إلى الانخراط في الثورة التحريرية:

-كان يمجد الإنسان كقيمة إلى حد العبادة، ولا شك أن هذا الإيمان بالإنسان قد ذهب بفانون لاحتضان قضية **الإنسان في الجزائر**. حيث قال في هذا الشأن

" عندما أبحث عن الإنسان الناشئ، عن المثال الأوروبي، لا أجد إلا سلسلة من أعمال إنكار الإنسان، وفيضا من عمليات القتل "[1]

-بصفته زنجيا ينحدر من أصول إفريقية، له حساب مع الاستعمار، ولا شك في أنه بعد التحاقه بالجزائر كرئيس في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، قد تمكن من العثور على وجود عامل مشترك بين الشعب المارنتيكي والشعب الجزائري .

-ثقافته وتكوينه الفكري، بالإضافة إلى وضعية شعبه، كل ذلك يجعله مناهضا للاستعمار ولكن مناهضة الاستعمار، لم تكن لتجد فانون عند إقامته بفرنسا إلا وسيلة واحدة من وسائل التعبير وهي الكتابة النظرية أما الكفاح العلمي فكانت آفاقه مسدودة في وجهه، لكن ها هي الجزائر التي يعمل بها منذ 1953م تخوض غمار كفاح مسلح، وها هي الثورة تتطور وتتدعم حتى تفرض نفسها على الجميع، وها هي الفرصة له لكي يشارك في هذه الثورة والذي أظهر تعاطفا كبيرا معها ونديد بمظاهر القمع لها حيث قال" :**رجال الجزائر ونساؤها، لا يشبهون اليوم رجال ونساء1830 م، فالجزائر القديمة قد انتهت، إن هذا الدم البريء الذي يتفجر من الشرايين المتنكرة**

[1] الطاهر خالد، نفس المرجع السابق، ص 21.

فوق التراب الوطني قد رفع إلى الوجود إنسانية جديدة). (" بالإضافة إلى أن فانون مما زاد في إصراره على التمسك بالنضال في الجزائر أنه شعب إفريقي، فهي فرصة لإثبات تفوق الإفريقي على الأوروبي الأبيض بشيء آخر غير الهروب إلى الماضي الذي يمقته. [1]

وعندما اندلعت الثورة التحريرية كانت له أول اتصال مع العديد من مسؤولي الثورة من بينهم يوسف بن خدة، عبان رمضان والعقيد الصادق كما شارك في جمع الأدوية للثوار وفي عام 1957م قدم فانون استقالته من رئاسة مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة إلى الحاكم الفرنسي روبرت لاكوست Robert Lacosteفي رسالة تبين وجهة نظره في جريمة الاستعمار على الإنسانية، وانضم إلى الثورة الجزائرية مؤمنا بأن معركة الشعوب المستعمرة واحدة يجب أن نخوضها للتحرر في كل مكان. وبعد هذه الرسالة طرد فانون من الجزائر، لكن ارتباطه بالثورة الجزائرية صار أمرا لا رجعة فيه فقد أمضى ثلاثة أشهر في فرنسا على اشتداد الفصل الأول من عام 1957م، لم ينجح خلالها في تقديم مساعدات للثورة الجزائرية). (أعتبر فانون الثورة الجزائرية، ثورة اشتراكية 55). (لكنها كانت شاملة لجميع فئات المجتمع من الفلاح، الطبيب، المهندس، الطالب، كلهم ساهموا فيها وناضلوا لأجلها واتفق مع أن وراءها الأسهم الذي هو الشعار الذي كتب في بيان الفاتح من نوفمبر 1954م وهو طابع مميز لكل دولة إسلامية. كما يرجع له الفضل في بلورة الثورة التحريرية فهو خلافا للمنظرين الآخرين متحررا من العوامل السياسية المسيطرة على المجتمع 56). (وأثر فانون على بعض الشخصيات في الالتحاق بالثورة حيث يقول في هذا الصدد زهير احدادان : **"التحقت بالثورة ...بمناسبة خطاب ألقاه فانون بمقر الكشافة الإسلامية"**

وفي صيف 1957م عندما كانت فترة مسدودة الأمل والآفاق، فالحل السياسي ميؤوس منه والاستعمار الفرنسي حول الجزائر إلى معسكر اعتقال ضخم عن طريق إنشاء خطوط مكهربة على حدود الجزائر الشرقية والغربية، كانت هيئة التحرير تجتمع لدراسة النصوص الثورية 58). (خلال تلك الجلسات كانت المناقشات كثيرا ما تخرج عن موضوع النصوص لتتناول قضية معينة أو مسألة تاريخية، وكان فانون كثير إلقاء الأسئلة حول ما يعرفه من دقائق الحياة الاجتماعية في الجزائر وحول المسائل التاريخية التي يقرأ عنها، وعندما لا يساهم في النقاش كان يتبع ما يقال بعناية ظاهرة .

وسجل الذين عرفوه آنذاك أنه مس في كلامه دفاعا عن فكرة أو دحضا لموقف، ونظرا إلى أن أعضاء هيئة التحرير كانوا متأثرين بثقافات مختلفة كان يحتدم النقاش بينهم مثل الحديث عن الوحدة العربية ودور الإسلام في حركة التحرر. وفي هذا الظرف انعقد اجتماع المجلس الوطني للثورة التحريرية 9أوت 1957م، الذي يعد منظرا له، وجعله نظام أساسي لجبهة التحرير الوطني، وكان في انتظار مقررات ذلك الاجتماع، وهذا ما يكشف عن جانب آخر لفانون، كان لا يستطيع أن يخفي لهفته على معرفة ما يكون قد اتخذ من قرارات، وكان واضحا من تلك أنه كان يعتبر نفسه معنيا بكل ما يتصل بالثورة التحريرية وكان يتابع بكل دقة ما يصدر عن الجبهة ويود الاطلاع

[1] الطاهر خالد، نفس المرجع السابق، ص 22.

على جميع التفاصيل التي يمكن أن تكون لدى المناضل وفي خطوة أولى شكلت الحكومة المؤقتة بعثة استطلاعية في بداية 1960م ضمت ثمانية أفراد منهم فانون المتواجد في غانا حيث عين فانون ممثلا للجزائر وخلال إقامته هناك لاحظ وجود إمكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود مالي، ولذلك اتصل بالمسؤولين في مالي وقدمكل اقتراحاته بشأن هذا الموضوع للمسيرين الجزائريين الذين قرروا إنشاء جبهة ثالثة جنوب الصحراء وكان يهدف فانون من وراء ذلك هو إمداد الجزائر إلى بعدها الإفريقي من جهة ومن جهة أخرى من أجل وحدة وتضامن الشعوب الإفريقية المستعمرة فيما بينها حيث يقول في هذا الشأن .."**تحريك إفريقيا والإعانة على تنظيمها وتجميعها وراء المبادئ الثورية والمساهمة في حركة القارة هذا هو العمل الذي اخترته نهائيا وقد كانت قاعدة الانطلاق الأولى هي غينيا ثم تقدم مالي بحماسة واستعداده لكل شيء** "، كما أضاف قائلا .."**إن مهمتنا هي فتح جبهة الجنوب من باماكو يجب توجيه الأسلحة والذخيرة يجب تحريك سكان الصحراء وإثارتهم والتسرب من هناك إلى الجنود الجزائرية** "

ولما بدأ ينظم طرق الإمدادات القادمة إلى الجزائر من جنوبي الصحراء وسرعان ما اتخذ قرارا ببناء قاعدة بإمداد الولايتين الأولى والخامسة الواقعتين جنوب الجزائر وهنا انطلق فانون في بعثة استكشافية لهذا الغرض ولكن رجال المخابرات الفرنسيين كانوا يقظين وانتهى الوفد بوصول أفراده إلى غرفة التحقيق، وعندما وصل ورفاقه إلى ليبيريا اكتشف أن الوسيلة الوحيدة للوصول من هناك إلى كوناكري في غينيا بطريق الجو إنما هي بطائرات شركة الخطوط الجوية الفرنسية، لكن اهتمام موظفي الطائرة بالوفد كان غير عادي ومن ثم تجنبوا الطريق الجوي سالكين الطريق البري، وعلموا بعدها أن الطائرة التي كانوا يريدون الذهاب فيها غيرت اتجاهاها لتهبط في أبيدجان ساحل العاج وبمجرد الوصول إلى بماكو حصل على التسهيلات اللازمة لبداية العمل والتي استأنفها بتنصيب جهاز للاتصال اللاسلكي في كايس واتجه من بماكو إلى عدة مناطق للمعاينة وللشروع في العمل ومن أهمها مدينة غاو من هنا يمكن القول إن فانون بدأ يندمج في الثورة التحريرية ويصبح عضوا من أعضائها ومناضليها وهذا ما يبرز لنا تأثره بها والتأثير فيها، ولم يكن فانون مؤثرا على الشخصيات الجزائرية فحسب، بل في شخصيات ومفكرين عالميين الذين نهلوا من كتاباته وترجموها إلى عدة لغات حتى إلى الفارسية والتركية، وسواء اتفقت وجهات النظر أو اختلفت فقد كان من بين الذين فرضوا أنفسهم بفضل عمق تحليله وسعة أفقه ودقة تفريعاته، وتفضيله السماع للكلام عند تناول موضوع ما لا يعرفه عن الشعب والثورة، يعني أنه لم يكن يعتبر نفسه خارج عن القضية الجزائرية، بل كان يضع نفسه على صعيد واحد من المناضلين الجزائريين مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية ومواقفهم من الثورة [1] .

ث- دوره الدبلوماسي في إفريقيا

[1] الطاهر خالد، نفس المرجع السابق، ص 22.

تولى فانون منصب ممثل للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في غانا عام 1960، وقام بمهام دبلوماسية مهمة في عدة بلدان أفريقية. لعب فانون دوراً محورياً في كسب التأييد الأفريقي للقضية الجزائرية، خاصة في غانا وغينيا ومالي، وكان له الفضل في إقناع العديد من الدول الأفريقية بالاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .و خلال عمله الدبلوماسي، سافر فانون عبر القارة الأفريقية لتعزيز التضامن مع الثورة الجزائرية وتوطيد العلاقات مع حركات التحرر الأخرى. ساهم فانون في تنظيم طرق إمداد الأسلحة للثوار الجزائريين عبر الحدود المغربية والتونسية، كما عزز الروابط بين الثورة الجزائرية والحركات التحررية الناشئة في أفريقيا جنوب الصحراء [1]

2. مسيرته الفلسفية والفكرية

أ- تأثره بالماركسية والوجودية

تأثر فانون بشكل كبير بالتيارات الفكرية السائدة في فرنسا أثناء فترة دراسته، خاصة الماركسية والوجودية. جمع فانون بين التحليل الماركسي للصراع الطبقي والتحليل الوجودي للتجربة الإنسانية، لكنه تجاوزهما عبر إدخال بعد العرق والثقافة في تحليله للاستعمار. لم يكتف فانون باستيراد النظريات الأوروبية، بل أعاد صياغتها لتلائم السياق الاستعماري ولتعكس تجربة المستعمر [2]

كان جان بول سارتر من أبرز المفكرين الذين تأثر بهم فانون وتبادل معهم الأفكار. التقى فانون بجان بول سارتر في باريس، وتوطدت العلاقة بينهما حتى أن سارتر كتب مقدمة كتاب 'معذبو الأرض'. لكن فانون انتقد محدودية الفكر الماركسي الأوروبي في فهم الاستعمار، معتبراً أن تحليل الصراع الطبقي وحده لا يكفي لفهم العلاقة بين المستعمر والمستعمر [3]

ب- إسهاماته في نظرية ما بعد الاستعمار

يعد فانون من المؤسسين الرئيسيين لنظرية ما بعد الاستعمار من خلال تحليله العميق للعلاقة بين المستعمر والمستعمر. قدم فانون نظرية شاملة عن الاستعمار لا تقتصر على الجانب السياسي والاقتصادي، بل تشمل البعد النفسي والثقافي والرمزي للهيمنة الاستعمارية. كان فانون سباقا في تحليل الاستعمار كنظام شامل للهيمنة يؤثر على كل جوانب حياة المستعمر، بما في ذلك وعيه بذاته وعلاقته بالآخرين [4]

وفي كتابيه الرئيسيين "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" و"معذبو الأرض"، يحلل فانون آليات الهيمنة الثقافية والاستلاب الذي يعاني منه المستعمر. كان فانون أول من تحدث عن 'استعمار العقل' كأداة أساسية للهيمنة

---

[1] إيلينغا م'بوكولو، "أفريقيا والثورة الجزائرية"، ترجمة: عبد السلام حيدر، الطبعة الأولى، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2012، ص92.

[2] عبد الكبير الخطيبي، "النقد المزدوج"، الطبعة الثانية، منشورات عكاظ، الرباط، 2000، ص78.

[3] إدوارد سعيد، "الثقافة والإمبريالية"، ترجمة: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014، ص317.

[4] هومي بابا، "موقع الثقافة"، ترجمة: ثائر ديب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص124.

الاستعمارية، فالمستعمر لا يكتفي باحتلال الأرض، بل يسعى إلى السيطرة على وعي المستعمر وتشكيل نظرته لذاته وللعالم [1]

ت- تطور فكره حول قضايا العنصرية والهوية

انشغل فانون بقضايا العنصرية والهوية طوال حياته الفكرية، وتطورت أفكاره من التحليل النفسي للعنصرية في "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء" إلى الدعوة للمقاومة الشاملة في "معذبو الأرض". كان تحليل فانون للعنصرية ثورياً لأنه لم يقتصر على الجانب الأخلاقي، بل اعتبرها بنية اجتماعية وسياسية مرتبطة بالنظام الاستعماري. كما أن فانون رفض اختزال مسألة التحرر في استعادة الهويات التقليدية ما قبل الاستعمارية، بل دعا إلى بناء وعي وطني جديد يتجاوز القبلية والإثنية ,وميز فانون بين مستويات العنصرية، فهناك العنصرية الفجة المباشرة، والعنصرية الثقافية التي تتجلى في تحقير ثقافة المستعمر، والعنصرية البنيوية المتجذرة في المؤسسات والقوانين. وقد اعتبر أن تحقيق المساواة القانونية لا يكفي للقضاء على العنصرية ما دامت بنى الهيمنة الاستعمارية قائمة [2]

مسار فكري متطور من تشخيص العنصرية كظاهرة نفسية إلى فهمها كبنية اجتماعية وسياسية مرتبطة بالنظام الاستعماري. تجاوز فانون فكرة استعادة الهويات التقليدية نحو خلق وعي تحرري جديد.

ث- تأثيره على الحركات التحررية العالمية

امتد تأثير فانون إلى ما هو أبعد من الجزائر، فقد ألهمت كتاباته العديد من حركات التحرر في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. فكانت أفكار فانون حول ضرورة تجاوز الهويات الإثنية الضيقة لصالح هوية وطنية جامعة ذات أثر كبير على الحركة المناهضة للفصل العنصري في جنوب أفريقيا. كما أن تحليله لأثر الاستعمار على نفسية المستعمر ساعد على فهم آليات القمع النفسي التي مارسها نظام الأبارتهايد.

وفي أمريكا الشمالية، أثّر فانون بشكل كبير على حركة الحقوق المدنية وحركة القوة السوداء؛ إذ كانت تحليلاته حول العنصرية والاستلاب النفسي مصدر إلهام للكثير من المناضلين السود في الولايات المتحدة، من أمثال مالكوم إكس وحزب الفهود السوداء. كما أن كتابه معذبو الأرض أصبح نصاً مرجعياً في أدبيات حركة التحرر الأسود. إرث فكري تجاوز حدود الجزائر وإفريقيا ليلهم حركات تحررية عالمية من جنوب إفريقيا إلى الحركات السوداء في أمريكا، وأصبحت كتاباته خارطة طريق للنضالات ضد القمع والعنصرية والاستعمار في العالم كله.[3]

خلاصة الفصل الأول:

---

[1] خولة طالب الإبراهيمي، "الاستعمار وقضايا الهوية الثقافية في الجزائر"، الطبعة الأولى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013، ص205.

[2] أنور عبد الملك، "دراسات في الثقافة الوطنية"، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص153.

[3] كورنل ويست، "العرق والمسألة"، ترجمة: لمياء محمود، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006، ص178.

تناولنا في هذا الفصل حياة فرانز فانون (1925-1961) ومسيرته، من نشأته في مارتينيك مروراً بتعليمه في فرنسا وعمله كطبيب نفسي، وصولاً إلى دوره في الثورة الجزائرية. قدّم الفصل عرضاً لأعماله الرئيسية ("بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"، "معذبو الأرض"، "من أجل الثورة الإفريقية") التي شكلت مرجعيات أساسية في فكر ما بعد الاستعمار. كما تتبع مساره التاريخي من مشاركته في الحرب العالمية الثانية إلى انخراطه في جبهة التحرير الوطني الجزائرية ودوره الدبلوماسي، إضافة إلى مسيرته الفكرية المتأثرة بالماركسية والوجودية وإسهاماته في نظريات التحرر ومكافحة العنصرية التي ألهمت حركات تحررية عالمية.

الفصل الثاني

مفهوم العنف

تمهيد

بعـد التطـرق في الفصـل الأول إلى سـيرة فرانـز فـانون ومسـيرته الفكريـة والنضـالية، سـنتناول في هـذا الفصـل موضـوع العنـف باعتبـاره المحـور الأساسـي في فكـر فـانون ونظريتـه حـول التحـرر مـن الاسـتعمار. سنقسـم هـذا الفصـل إلى ثلاثـة مباحـث رئيسـية: في المبحـث الأول سـنتطرق إلى مفهـوم العنـف بشـكل عـام، مستعرضـين التعريفـات المختلفـة لـه وأبعـاده النفسـية والاجتماعيـة وأنواعـه المتعـددة. أمـا المبحـث الثـاني فسنخصصـه لدراسـة مفهـوم العنـف عنـد فرانـز فـانون، محللـين تعريفـه للعنـف كـأداة للتحـرر وكـرد فعـل علـى عنـف المسـتعمر، ومستكشـفين الأبعـاد المختلفـة للعنـف في فكـره. وفي المبحـث الثالـث سـنتناول دور العنـف في النضـال ضـد الاسـتعمار، مناقشـين ضـرورته التاريخيـة مـن منظـور فـانون، ومقـدمين نقـداً لنظريتـه حول العنف ومدى صلاحيتها في السياق المعاصر.

أولاً: العنف عامة

1. ماهية العنف

أ- التعريفات المختلفة للعنف

جاء في لسان العرب لابن منظور أن : العنف عنف – هو الإسم من العنف، وهو الشدة والقوة، وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق، أعنف الشيء أي أخذه بشدة. وجاء في المعجم الوسيط: (عنف) به، وعليه عنها وعنافة أخذه بشدة وقسوة، ولامه وغيره. المعجم)1972(الوسيط

ويعرف جميل صليبا في معجمه الفلسفي " العنف كفعل مضار للرفق، ومرادف للشدة والقسوة والعنيف (violent) هو المتصف بالعنف فكل فعل يخالف طبيعة الشيء، ويكون مفروضا عليه، بصورة ما فعل عنيف والعنيف هو أيضا القوي الذي تشتد صورته بإزدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة، والثورة الجارفة "جميل صليبا، (1994).[1]

ويعرف العنف بأنه فعل يعتمد على استخدام وسائل القوة أو القهر أو الضغط المادي أو المعنوي، الذي يلحق الأذى بالفرد أو الجماعة أو المجتمع [2].

والعنف هو سلوك يصدره فرد أو جماعة تجاه فرد أو جماعة آخرين ماديا كان أم لفظيا، إيجابيا أم سلبيا، مباشرا أم غير مباشر، ويترتب عليه إلحاق أذى بدني أو مادي أو نفسي بصورة متعمدة بالطرف الآخر [3]

العنف ليس مجرد فعل مادي يقتصر على الإيذاء الجسدي، بل هو ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد تمتد لتشمل الأذى النفسي والمعنوي أيضا. فهو يعكس في جوهره خللا في طبيعة العلاقات الإنسانية، ويفضح عجز الأفراد والجماعات عن تحقيق التواصل الحضاري القائم على الاحترام والتفاهم المتبادل[4]

---

[1] رمضان من العنف الاجتماعي إلى ممارسة العنف التربوي مع دراسة للوظيفة العلاجية للفن كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية – تلمسان محمد صفحة 31.

[2] جاك ديشان، العنف في العالم المعاصر، ترجمة نبيل أبو الهيجاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2008، ص 27.

[3] عزت سيد إسماعيل، سيكولوجية التطرف والإرهاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 43.

[4] Hannah Arendt, *On Violence*, New York: Harcourt, Brace & World, 1970, pp. 35–40

ب- الأبعاد النفسية والاجتماعية للعنف

يمكن النظر إلى العنف على أنه ظاهرة اجتماعية مركّبة تنشـأ داخل سـياقات محددة، وتتأثر بأنماط التنشـئة الاجتماعية والممارسات التربوية والثقافية السائدة، فضلاً عن انعكاس الظروف الاقتصادية والسياسية التي يعيشها المجتمع. فالعنف ليس فعلاً فردياً معزولاً، بل هو نتاج مباشـر للبنية الاجتماعية وما تحمله من قيم ومعايير وأعراف، إذ يعكس تناقضاتها وإشكالياتها في الآن ذاته. ومن هذا المنظور، يغدو العنف تعبيراً عن تداخل العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصـادية التي تنتج أنماطاً مخصـوصـة من السـلوك داخل الجماعات. غير أنّه لا يتوقف عند هذا البعد الجماعي فحسب، بل يتجلى أيضاً في المستوى النفسي كعلامة على أزمة يعيشها الفرد في علاقته بذاته وبالآخرين، حيث يمثل نوعا من الفشـل في التكيف مع الواقع الاجتماعي، في الوقت الذي يكشـف فيه عن اختلالات أعمق في البناء الاجتماعي الذي يفرز تفاعلات مشوهة وعلاقات غير متوازنة. هكذا يصبح العنف ظاهرة مزدوجة: فهو في بعده الفردي انعكاس لصراع داخلي، وفي بعده الجمعي نتاج بنية اجتماعية مأزومة.[1].

ت- العنف كظاهرة إنسانية وتاريخية

العنف سلوك إنساني ممتد عبر التاريخ، اتخذ أشكالاً متعددة بدءاً من الصراعات البدائية على الموارد، مروراً بالحروب الدينية والقومية، وصولاً إلى أشكال العنف المعاصرة ذات الطابع الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي. وعلى الرغم من تطور المجتمعات وتقدمها، إلا أن العنف لا يزال يشكل ظاهرة مستمرة تتجدد أشكالها وآلياتها [2]

العنف ظاهرة إنســانية متجذرة في عمق التاريخ البشــري، إذ لا يكاد يخلو مجتمع أو حضــارة من مظاهره بأشـكاله المتعددة. فمنذ البدايات الأولى كان العنف مرتبطاً بصـراع الإنسـان من أجل البقاء، ثم ما لبث أن تطور مع تطور المجتمعات الإنسـانية ليأخذ صـورا أكثر تنظيما وتعقيدا. فما كان في الماضـي صـراعا بدائيا على الموارد والتحصـن ضـد الأخطار الطبيعية، تحول في العصـور اللاحقة إلى صـراع على السـلطة والثروة والهيمنة. ومع دخول العصــر الحديث، اتخذ العنف أشــكالاً جديدة أكثر خطورة، حيث برز العنف المؤســسـي والمنظم الذي يوظّف التكنولوجيا الحديثة وأدوات الإعلام لنشــر العنف الرمزي والثقافي، بما يكشــف عن تجذره في الطبيعة البشــرية والاجتماعية معاً، وعن قابليته للتحول وفقاً لتطور البنى الحضارية والسياسية التي يحتضنها.[3]

---

[1] عدلي السمري، العنف في الأسرة: دراسة سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 31

[2] عبد الله العروي، مفهوم العنف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007، ص 42.

[3] محمد عبده محجوب، العنف في الحياة اليومية في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 2003، ص 24.

ث- الفرق بين العنف والقوة والسلطة

السـلطة هي القدرة البشـرية ليس فقط على الفعل ولكن على الفعل بالإجماع. السـلطة لا تنتمي إلى فرد بل إلى جماعة، وتسـتمر فقط ما دامت الجماعة متماسـكة. أما القوة فتشـير إلى قدرة الإنسـان ليس فقط على الفعل ولكن على تحقيق أهدافه. والعنف يتميز بطابعه الأداتي، فالوسـائل التي يسـتخدمها مصـممة مثل جميع الأدوات لمضاعفة القوة الطبيعية [1]

تسـتمد السـلطة مشـروعيتها من القبول الجماعي والاعتراف الاجتماعي، بينما يفتقر العنف إلى أي شـرعية حقيقية لأنه يقوم أساساً على الإكراه والقهر. فعندما تفقد السـلطة أسـاسـها الشـرعي، تتحول تدريجياً إلى سـلطة قمعية تلجأ إلى العنف للحفاظ على بقائها. ومن هنا يتضـح التمييز بين المفاهيم الثلاثة: فالقوة هي القدرة المجردة على التأثير وتحقيق النتائج المرغوبة، أما السـلطة فهي ممارسـة مشـروعة لهذه القوة تسـتند إلى القانون أو العرف أو الرضـا العام، في حين أن العنف يمثل انحرافاً عن هذا الإطار الشـرعي، إذ هو توظيف غير مشـروع للقوة المادية أو الرمزية من أجل إخضاع الآخرين وإجبارهم على سلوك معين ضد إرادتهم.[2]

1. أنواع العنف

أ- العنف المباشر (الجسدي)

يعرف العنف المباشر أو الجسدي بأنه استخدام القوة الجسدية للتسبب بالأذى أو الضرر المباشر للآخرين. فالعنف المباشـر هو الصـورة المرئية والتقليدية للعنف الذي يقوم به فاعل محدد وله ضـحية معروفة، ويأخذ أشـكالاً متنوعة مثل القتل والضرب والتعذيب والاعتداء الجسدي [3]

و العنف الجسـدي هو الشـكل الأكثر وضـوحاً بين أشـكال العنف، إذ يتمثل في الأفعال البدنية التي تسبب الألم أو الجرح أو المرض أو الموت، ويكون موجهاً لإلحاق الضـرر الجسـدي بالآخرين أو بممتلكاتهم، وهو عادة ما يعبر عن نزعة عدوانية واضحة. [4]

---

[1] حنة أرندت، في العنف، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1996، ص 63.

[2] برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2010، ص 29

[3] يوهان غالتونغ، "العنف والسلام والبحث عن السلام"، ترجمة سعد رستم، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 32.

[4] مصطفى حجازي، "الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 87.

و العنف المباشـر هو السـلوك المرئي الذي يؤدي إلى تدمير الحياة أو الصـحة البدنية للإنسـان، ويمكن تحديد الفاعل والضحية في هذا النوع من العنف، وغالباً ما يكون معززاً بالعنف الهيكلي والثقافي [1]

ب- العنف الهيكلي/البنيوي

هو العنف الذي يكون مدمجاً في النظام ويظهر على شـكل علاقات قوة غير متكافئة وبالتالي كفرص حياة غير متكافئة. ويتسـم هذا النوع من العنف بأنه غير مرئي، وغير منسـوب إلى فاعل محدد، ولا يحدث اشـتباكاً واضحاً بين طرفين [2]

و العنف الهيكلي يستند إلى الترتيبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤدي إلى التهميش والحرمان لفئات معينة. وهو عنف يمارس بصورة غير مباشرة من خلال البنية الاجتماعية والمؤسسات، ويتجلى في مظاهر التفاوت الاجتماعي والاقتصادي والتمييز والإقصاء[3]

العنف الهيكلي هو ذلك العنف الخفي الذي تمارسه البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الأفراد والجماعات بشكل غير مباشر، بحيث لا يظهر فاعله بشكل واضح ولا يدرك بسهولة من طرف ضحاياه. فهو عنف "ناعم" ممأسس في بنية المجتمع والثقافة والدولة، ويعمل على إعادة إنتاج علاقات التبعية والقهر بطريقة تبدو طبيعية ومشروعة. وتكمن خطورته في كونه يشرعن التفاوت والظلم الاجتماعي، ويجعل الضحايا أنفسهم يتقبلون أوضاعهم كأمر حتمي لا مفر منه، مما يمنحه قدرة أكبر على الاستمرار وإعادة إنتاج ذاته مقارنة بأشكال العنف المباشر والظاهر.[4].

ت- العنف الثقافي والرمزي

[1] روبرت مكلفين، "مدخل إلى علم النفس الاجتماعي"، ترجمة ياسمين حداد وآخرون، دار وائل للنشر، عمان، 2002، ص 174.

[2] يوهان غالتونغ، "العنف والسلام والبحث عن السلام"، ترجمة سعد رستم، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 47.

[3] نانسي شيبر-هيوز، "الموت بلا بكاء: العنف في الحياة اليومية في البرازيل"، ترجمة مصطفى خالد فؤاد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 89.

[4] بيير بورديو، "الهيمنة الذكورية"، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص 53.

يعرف الثقافي بأنه أي جانب من جوانب الثقافة يمكن استخدامه لتبرير العنف البنيوي أو المباشر. ويتضمن العنف الثقافي الرموز والمعتقدات والقيم والمعايير الاجتماعية والخطابات التي تجعل العنف مقبولاً أو مشـــروعاً في المجتمع [1]

العنف الرمزي هو العنف الذي يفرض من خلال اللغة والمعاني والرموز دون اللجوء إلى وسائل القهر المادي، وهو يعمل من خلال آليات النفي والإقصـاء والتراتبية والتصـنيف، ويسـتند إلى سـلطة رمزية يمتلكها الفاعلون في المجال الثقافي والاجتماعي[2]

العنف الثقافي والرمزي يمثلان أخطر الأشـكال غير المرئية للعنف، حيث يعملان على إعادة إنتاج السـلطة وعلاقات الهيمنة عبر الخطابات والتمثلات الثقافية التي تضـفي الشـرعية على العنف المباشـر والهيكلي. فهما يشكلان الغطاء المعنوي الذي يجعل أنماط الظلم تبدو طبيعية ومقبولة، إذ يستبطن الأفراد منظومة القيم والرموز التي تكرس تبعيتهم، فيمارس العنف عليهم بموافقة ضـمنية ودون وعي منهم. وهكذا يصـبح الضـحايا مشـاركين —عن غير قصـد— في إعادة إنتاج وضـعهم المأسـاوي، مما يمنح هذا النوع من العنف قدرة على الاسـتمرار والتجذر أكثر من غيره.[3].

ث- العنف السياسي

يعرف السياسي بأنه استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لتحقيق أهداف سياسية، وهو سلوك يهدف إلى التأثير في السـلطة أو الحصـول عليها أو تغيير سـياسـاتها من خلال إلحاق الضـرر المادي أو المعنوي بالخصـوم السياسيين[4]

[1] يوهان غالتونغ، "العنف والسلام والبحث عن السلام"، ترجمة سعد رستم، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص 71.

[2] بيير بورديو، "العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي"، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994، ص 25.

[3] نصر حامد أبو زيد، "الخطاب والتأويل"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 103.

[4] تيد روبرت غار، "لماذا يتمرد البشر"، ترجمة عمر الأيوبي، دار الساقي، بيروت، 2004، ص 86.

و العنف السياسي هو الاستخدام الفعلي للقوة المادية من قبَل الأفراد أو الجماعات أو الدول، بهدف تحقيق غايات سياسية، سواء كان ذلك بشكل مشروع أو غير مشروع، وسواء كان موجهاً ضد السلطة الحاكمة أو من قبَلها ضد معارضيها، أو بين مختلف الفصائل السياسية[1]

العنف السياسي يمثل مؤشراً واضحاً على أزمة الشرعية السياسية وفشل آليات المشاركة، إذ يلجأ الأفراد والجماعات إلى ممارسته عندما يشعرون بانسداد الأفق السياسي وغياب القنوات الشرعية للتعبير عن مطالبهم وتطلعاتهم. فهو يعكس عجز النظام عن استيعاب الآخر وتحقيق العدالة وتداول السلطة، مما يجعل العنف خياراً بديلاً للتعبير والمواجهة. وعلى خلاف السلطة التي تستمد مشروعيتها من القبول الجماعي، يفتقر العنف السياسي إلى الشرعية ويعتمد على القهر والإكراه، فيكشف بذلك عن مأزق سياسي عميق يهدد الاستقرار الاجتماعي والسياسي.[2]

ثانياً: العنف عند فرانز فانون

1. تعريف العنف عند فانون

يعرف فرانز فانون العنف بأنه قوة تطهيرية تحرر المستعمر من عقدة نقصه وتمكنه من استعادة احترامه لذاته ، وهو يرى أن العنف وحده، العنف الذي تقوم به الشعوب، والعنف الذي تنظمه وتستنير به، هو الذي يمكن أن يسمح للجماهير بفك الشفرة الاجتماعية، وأن يقدم لها المفتاح الذي يمكنها من فتح بوابة الواقع [3]

فإن العنف عند فانون لا يمكن فهمه إلا في سياق مفاهيمه المركزية: الاستعمار، التحرر، الأنا الزنجي، الآخر الأبيض، والعلاقة الجدلية بينهما. فالعنف نتاج طبيعي للوضع الاستعماري القائم على العنف والاستلاب، وهو الطريق الوحيد لتحطيم هذا الوضع وتجاوزه [4]

أ. العنف كأداة للتحرر

ان العنف هو الوسيلة الأساسية للتحرر من نير الاستعمار، حيث ان التحرر الوطني، وإعادة بناء الأمة، وإعادة الكرامة للإنسان، واسترجاع الإنسانية هي شروط ضرورية لازدهار الثقافة الوطنية والمجتمع الجديد. إن هذه الشروط

---

[1] محمد عابد الجابري، "العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص 195.

[2] حنة أرندت، "في العنف"، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1996، ص 78.

[3] فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 43.

[4] بعلي حفناوي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص 158

لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال صـــراع عنيف ودام ' و كان فانون واعياً بأن العنف الثوري هو الطريق الوحيد المتاح أمام الشـــعوب المســـتعمرة للتخلص من هيمنة المســـتعمر، لأن المســـتعمر لا يتخلى طواعية عن امتيازاته ومكاسبه. فالعنف التحرري يصبح ضرورة تاريخية وأخلاقية في آنَ واحد [1].

العنف عند فانون ليس غاية في ذاته، بل وســيلة حتمية لتحطيم بنية الاســتعمار وبناء عالم جديد قائم على الحرية والكرامة. فهو لا يدعو إلى العنف من أجل العنف، وإنما يعتبره أداة للتحرر وإعادة تشكيل الإنسان المستعمر، إذ يرى أن المستعمر لا يتنازل طواعية عن امتيازاته، مما يجعل اللجوء إلى العنف ضرورة تاريخية وليست نزوة ثورية.[2]

ب. العنف كرد فعل على عنف المستعمر

إن الاستعمار ليس آلة تفكير ولا جسداً موهوباً بالعقل، إنه عنف في حالته الطبيعية، ولا يمكن أن ينحني إلا أمام عنف أكبر منه [3]

و انطلق فانون من حقيقة أن الاســتعمار هو بالأســاس علاقة عنف: عنف مادي متمثل في القمع والاســتغلال، وعنف رمزي متمثل في الهيمنة الثقافية وتشــويه هوية المســتعمر. وبالتالي، فإن تفكيك هذه العلاقة لا يمكن أن يتم إلا بواسطة عنف مضاد يهدف إلى استعادة الحرية والكرامة [4]

العنف المضـــاد في فكر فانون هو نتيجة طبيعية للعنف الاســـتعماري، وهو ليس عدواناً بل دفاع عن الذات، فالمستعمر هو من أسس لمنطق العنف، والمستعمر يستخدم نفس اللغة التي يفهمها المستعمر.

ت. العنف كوسيلة لاستعادة الذات والوعي

يعتبر فانون أن العنف التحرري له وظيفة نفسية وثقافية هامة، إذ يسمح للمستعمر باستعادة ذاته ووعيه المستلبين، حيث يقول: على المســـتوى الفردي، العنف هو قوة تطهيرية. إنه يحرر المســـتعمر من عقدة النقص، ومن يأســـه وخموله، إنه يجعله شـــجاعاً ويســـتعيد احترامه لذاته' و أدرك فانون أن الاســـتعمار لا يقتصـــر على احتلال الأرض

---

[1] سبيلا محمد، الحداثة وما بعد الحداثة، الطبعة الثالثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص 112.

[2] شريط عبد الله، "العنف والثورة عند فرانز فانون"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 42، 2005، ص 63.

[3] فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 27.

[4] الجابري محمد عابد، المسألة الثقافية في الوطن العربي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص 185.

واســتغلال خيراتها، بل يمتد إلى احتلال العقول وتشــويه الوعي. لذلك، فإن العنف الثوري عنده ليس مجرد وســيلة لطرد المستعمر، بل هو أيضاً عملية استعادة للذات وتحرير للوعي من آثار الهيمنة الاستعمارية [1]

كان فانون يدرك أن تجربة العنف التحرري هي لحظة ولادة جديدة للمســتعمر، لحظة يتخلص فيها من الصــورة المشوهة التي زرعها الاستعمار في ذهنه عن نفسه، ويستعيد إنسانيته الكاملة. فالعنف بهذا المعنى هو عملية شفاء وتطهير نفسي وثقافي [2]

العنف عند فانون يتجاوز بعده المادي ليغدو حدثاً رمزياً ووجودياً، فهو ليس مجرد صراع جسدي مع المستعمر، بل عملية تحرر نفسي وشفاء داخلي تعيد للمستعمر ذاته المسلوبة وهويته المشوهة. إنه لحظة تأسيسية يعيد فيها المقهور اكتشاف تاريخه وثقافته وإنسانيته الكاملة، بعيداً عن هيمنة نظرة المستعمر، فيتحول العنف إلى فعل تطهير للوعي المستلب ومسار لاستعادة الكرامة.[3].

2. أبعاد العنف في فكر فانون

أ. البعد النفسي للعنف الاستعماري وآثاره

يعتبر فانون من أوائل المفكرين الذين تناولوا بعمق الآثار النفســية للعنف الاســتعماري على المســتعمر. وقد استفاد من خبرته كطبيب نفسي عمل في مستشفى بليدا في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي. إن المستعمر محاصر في ذاته، إنه مجرد من إنســانيته ليس فقط في نظر المســتعمر، وإنما أيضــاً في نظر نفســه. إن صــورته عن ذاته هي بالضرورة صورة سلبية [4]

و لقد تجاوز فانون التحليل التقليدي للظاهرة الاستعمارية بتسليطه الضوء على أبعادها النفسية. فهو يكشف كيف أن العنف الاســتعماري لا يقتصــر على احتلال الأرض ونهب الثروات، بل يمتد إلى احتلال الوعي وتشــويه الذات وتمزيق الهوية [5]

كشــف فانون عن آليات العنف النفســي الاســتعماري التي تتجاوز الإذلال الجســدي لتطال أعماق الروح، حيث يعمل المستعمر على تشويه صورة المستعمر عن ذاته وزرع شعور بالدونية والاحتقار في وعيه. وبحكم خبرته كطبيب

---

[1] بن نبي مالك، شروط النهضة، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق، 2008، ص 92

[2] سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014، ص 304.

[3] حرب علي، حديث النهايات، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص 173.

[4] فانون فرانز، بشرة سوداء، أقنعة بيضاء، ترجمة: محمد لطفي اليوسفي، الطبعة الأولى، دار سراس للنشر، تونس، 1995، ص 83.

[5] الخطيبي عبد الكبير، في الكتابة والتجربة، ترجمة: محمد برادة، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، 1980، ص 136

نفسي، أدرك فانون أن الاستعمار لا يقتل الجسد فحسب، بل يسعى إلى تدمير الشخصية وإخضاع الوعي، بحيث يستبطن المقهور نظرة المستعمر الدونية إليه.[1]

ب. البعد الثوري التحرري للعنف المضاد

يرى "فانون" أن العنف العفوي هو مقدمة أساسية للعنف الثوري الذي يرافق تسييس المستعمرين، فيستيقظ الوعي الوطني العفوي عند هذه الشعوب، لتدخل في صراع مباشر وعنيف مع المستعمر في سعيها لتحرير نفسها، وهذا الضرب من العنف عنف شرعي، بل ضروري في نظر "فانون" لأنه الأداة الوحيدة لضمان تحقيق التحرير، إنه

المحصلة الضرورية لمسيرة التاريخ التي تفرضه.

أوضح "فانون" بالدور الذي يلعبه العنف العفوي الذي يقوم بوعي سياسي وتجنيد الشعب فهو مقدمة لعنف ثوري يرافق تسييس المستعمرين في سبيل الحرية فهنا يبرز دور الشرعية في عملية الكفاح.

واصل "فانون" مناداته بالعنف الثوري المطلق حيث لم يجعله مقصورا فقط على المستعمر الأجنبي بل طالب أن يمتد لشمل كافة الطبقات الاجتماعية المتحالفة مع الاستعمار مثل الطبقة البرجوازية وطبقة التجار التي تعمل على الترويج لمنتجات المستعمر داخل المستعمرات، ويضيف إليهم أيضا القيادات التقليدية التي كانت تصب اتهامات الزندقة والخرافة على المناضلين والثوار .[2]

ت. جدلية العنف بين المستعمر والمستعمَر

من المفيد التعرض لظاهرة الاســـتعمار بالتعريف به لغة و مفهوما، وذكر أســـبابه وتحديد أهدافه وضـــبط خصائصه والنتائج المترتبة عنه، فمن حيث التعريف بالاستعمار لغة نلاحظ أن كلمة الاستعمار مصدر مشتق من القول استعمرت دولة ما بلادا غيرها استعمارا اي ملكتها بالقوة والسلاح واحتلت أراضيها، وجعلتها مقرا للكثير من سكانها غصبا واستأثرت باستغلال ذخائرها و خيراتها قسرا، وأجبرت شعبها على إتباع سياستها القاهرة المتمثلة في استعباد أهاليها وتجميد أفكارهم النيرة ومسخ عاداتهم وأعرافهم النبيلة وإفساد اخلاقهم الفاضلة ومحو شعائر الديانات المخالفة لتمستعمرين قدر الإمكان .

---

[1] العروي عبد الله، مفهوم الإيديولوجيا، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993، ص 117.

[2] مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر مفهوم العنف عند فرانز فانون صفحة 49-50.

والحقيقة ان الاستعمار ليس مجرد نهب اقتصادي لخيرات المستعمر واستيلاء على أرضه وسلب خيراته بل – بشكل الاستعمار بنية فكرية ونسقا مفهوميا متكاملا، فهو بالأساس خطاب ورؤية وكل مقاومة للاستعمار إذا لم تتجه إلى تفكيك مســـلمات خطابه و فضـــح مقولاته و نقد مرجعياته الثقافية و الإيديولوجية، ســـتبقى مقاومة للشكل و ليس للجوهر«.[1]

ثالثاً: دور العنف في النضال ضد الاستعمار

1. العنف كضرورة تاريخية

أ– حتمية العنف في مواجهة الاستعمار

يحلل فانون العنف كضـرورة تاريخية وحتمية في مواجهة الاستعمار، مستندا على تجربته الشـخصـية خلال الثورة الجزائرية. يؤكد فانون أن العنف الاستعماري المؤسس للنظام الكولونيالي يجعل من العنف المضاد طريقاً حتمياً للتحرر، حيث يقول إن تحرير الإنسان المستعمَر لا يتم إلا بالقضاء التام على النظام الاستعماري... فعالم المستعمر عالم معاد، مقيت ورافض. إنه عالم يحدث فيه الإنســـان المســـتعمر عقدة الانحطاط ويحلم باســـتمرار بأن يصـــبح مستعمراً[2]

و إن عنف المستعمَر، الذي يمارسه ضد المستعمِر، إنما هو تعبير عن عنف المستعمِر ضد المستعمَر... فلا يتخلص المستعمَر من استعماره إلا بعد أن يقرر أن يصبح نقيضاً للمستعمِر وبذلك يؤسس فانون لنظرية العنف المضاد الذي يراه ضرورة تاريخية في مواجهة عنف المستعمِر وسبيلاً وحيداً لاستعادة الذات المستلبة[3].

كما يرى فانون أن العنف الاستعماري لا يهدف فقط إلى إبقاء الشعوب المستعبدة في حالة من الخوف، بل يسعى أيضاً إلى تجريدها من إنسانيتها، إذ إن النظام الاستعماري لا يمكن فهمه من دون حضوره الدائم للعنف بكل أشكاله من تعذيب واغتصاب وقتل. ومن هنا تنبع ضرورة العنف المضاد بوصفه رد فعل طبيعي على ذلك العنف الممنهج، ووسيلة وحيدة تمكّن المستعمَر من استرجاع شخصيته وإنسانيته المسلوبة والتحرر من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية. [4]

---

[1] ط.د. كمال رمضاني و عبد المجيد عمراني سيكولوجيا الاستعمار من منظور فرانز فانون مجلة العبر للدراسات التاريخية وا لأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05العدد: 01 ص 476/475.

[2] فانون، فرانز. معذبو الأرض. ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الطليعة، 1985، ص 37.

[3] فانون، فرانز. معذبو الأرض. ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الطليعة، 1985، ص 58.

[4] شريط، عبد الله. الثورة الجزائرية في الفكر العربي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 87.

يرى فانون العنف كخيار حتمي نابع من طبيعة النظام الاستعماري نفسه، فعندما يكون الاستعمار عنفاً منظماً ومؤسسياً، يصبح العنف المضاد استراتيجية مشروعة للبقاء والتحرر، وليس مجرد خيار من بين خيارات.

ب- العنف كمرحلة انتقالية نحو التحرر

لا يمجد فانون العنف لذاته، بل يراه مرحلة انتقالية ضرورية في مسار التحرر الوطني. ففي "معذبو الأرض" يصف العنف بأنه "عامل تطهير، يخلص المستعمر من عقدة الدونية، ويعيد إليه احترامه لذاته، ويحرره من يأسه وسلبيته. فالعنف عند فانون ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لاستعادة الذات وتأسيس نظام اجتماعي جديد.

يقول فانون العنف هو الوسيلة التي تجعل من الإنسان المستعمر كائناً حراً. وبواسطة هذا العنف التحريري، يستعيد المستعمر وجوده الإنساني، ويبدأ عملية إعادة بناء تاريخه الذي كان مشوهاً ومشطوباً بفعل الآلة الاستعمارية [1]

كان فانون يدرك تماماً أن العنف الثوري ينبغي أن يتوقف عند حدود تحقيق الاستقلال، لأن استمراره بعد ذلك قد يؤدي إلى تحوله إلى عنف مؤسساتي يعيد إنتاج آليات القمع نفسها التي مارسها المستعمر. فالعنف في فكره ليس غاية في ذاته، بل محطة مؤقتة في مسار التحرر، وأداة لهدم البنى الاستعمارية تمهيداً لبناء عالم جديد، ولهذا يجب أن ينتهي بانتهاء مهمته التحررية.[2]

2. نقد نظرية العنف عند فانون

أ- الانتقادات الموجهة لأطروحة فانون حول العنف

وجه الانتقاد إلى تحليل فانون للثورة الجزائرية وإلى نظريته في التغيير الاجتماعي تضمينا منذ وفاته عام 1962م ، وكانت حجة هذه الانتقادات تقوم في شكلها الفج أنه لم يكن بمقدور فانون أن يفهم الجزائر أو العرب أو الإسلام لأنه لم يكن جزائريا ولا مسلما . مما يعني أن فانون على الرغم من معايشته لأوضاع الثورة الجزائرية ورؤيته البشاعة التعذيب الأجنبي إلا أن الشعور بالمعاناة الحقة يفهمها إلا من كان جزائريا.

---

[1] فانون فرانز. معذبو الأرض. ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي. الطبعة الثانية. بيروت: دار الطليعة، 1985، ص 89.

[2] سعد الله أبو القاسم. الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945. الجزء الثالث. الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 218.

وقد كان رد فانون على هذا النقد بقوله : << أن التجربة المعاشـــة هي امبريقية وظاهرتية، فحتى إذا شـــعر أحدهم بشـــعور الأجنبي في هذا العالم، فذلك لا ينقص من حقيقة العالم، ولا تقلل حقيقة العالم من شـــعوره بالاغتراب وليس على المرء أن يجرب التعذيب كي يفهمه، كما ليس واجبا أن يكون المرء مولودا في الجزائر كي يتعاطف مع محنته للجزائريين في ظل الاستعمار الكولونيالي الفرنسي >>.

كما اتهم فانون أنه كان ســـلطويا ســـياســـيا تعامل بفظاظة مع الاختلاف العرقي، من جهة أخرى، ورأى آخرون أن قانون بالغ في تقدير أهمية مستوى التغيير الجاري في العلاقات الجنوسية (الجنسين) .

كما رفضت حنة أرنت البروليتاريا الرثة التي وصفتها بالحثالة التي ستشكل نقطة انطلاق الثورة في المدن كما أشـــار إليها فانون حيث تســـاءلت عن كيف يمكن الوثوق باللصـــوص في إضـــاءة الدرب أمام الشـــعب؟ وقامت بوصفهم بأنهم من الجماعات التي تقف خارج الطبقات .[1]

دعت أيضـا "حنة أرنت" إلى اعتبار أن تصـريح فانون بقوله: << الجوع مع الكرامة، أفضـل من الخبز الذي يؤكل في العبودية . >> تصـريحا خطابيا لا مسـئولا مبالغا فيه واصـفة إياه بأنه مجرد تعبير عن مزاج عابر ، أو عن جهل أو عن نبل المشـــاعر لدى الشـــعب، وأن المضـــطهد إنما يحلم أن يجلس ولو ليوم واحد ما كان ذاك الذي اضطهده فالمشكلة هي أن الأحلام لا تصبح أبدا حقيقة ، من هنا يكون العنف الثوري لدى "قانون" انطلاقا من هذا أنه عنف وهمي لا يرتكز على قوانين سياسية مطابقة للواقع.

أخطأ في التعويل على طبقة الفلاحين في الحراك الثوري حيث أن الوعي الســـياســـي لدي طبقة الفلاحين يكون معدوما وهو ما أقره في كتاباته، إلا أنه أصـــر على أن تقود تلك الطبقة شـــعار الثورية، كما أن تلك الطبقة تفقد عنصرا هاما ينبغي توفره في الطبقة الثائرة وهو عنصر التنظيم .

إلا أن فانون أصـر على انه لم يأت ليعلن حقائق أزلية" ، وأنه يسـتمد هذا التحليل جذوره من الراهن، يجب النظر في كل مشـكلة إنسـانية من زاوية الزمن"، المسـألة ليسـت تاريخية فحسـب، أو هي تتوقف على القرنية فقط، بل هي مسالة ممارسة .

[1] آمنة صيافة، سلمى عفايفية، المرجع السابق، ص 71 – 73.

نجد طرح مغاير لمجموعة من الفلاسفة الذين يرون أن العنف قوة هدامة وسلوك تدميري للفرد والجماعة، فهو يحرم النفس من السكون والطمأنينة ويلحق الأذى بالآخرين واستحقارهم واستعلاء القوي على ضعيف وتتحطم العلاقات الاجتماعية وتنتشر العداءات والضغينة بين الناس، وهذا لا يتناسب مع الإنسان المتحضر، ويذهب أصحاب هذا الطرح إلى مقابلة العنف بالتسامح كسلوك أخلاقي يعبر عن سمو الإنسان ووعيه الحضاري وتحكمه بالمواقف.

أكد "غاندي على أن خيار اللاعنف خيار استراتيجي يقتضي أن تكون كل الأعمال التي يتم اللجوء إليها لا عنيفة، فهي إستراتيجية لها فاعليتها الخاصة، ويؤدي بالعادة إلى ديمقراطيات وإلى التزام بحقوق الإنسان ، وقد جاءت الفكرة على لسان "غاندي" الذي يقول : << إن الغاية موجودة في الوسيلة كما أن الشجرة موجودة في البذرة وإن الحروب لا تؤدي إلا إلى مصائب إنسانية وتدمير البشر والحجر . >>

على الرغم من هذه الانتقادات الموجهة ل "قانون" والرفض من طرف البعض، إلا أن هذه الانتقادات عبارة عن تقييمات لنقائص وأخطاء التي وقع فيها والتي ربما قد تصيب أو تخطئ، وأي اجتهاد معرض للخطأ والانتقاد.[1]

ب– حدود العنف وإشكالياته كأداة للتغيير

على الرغم من الدور الذي يمكن أن يلعبه العنف في مواجهة الاستعمار، إلا أن هناك حدوداً وإشكاليات تواجه استخدام العنف كأداة للتغيير. فالعنف الثوري قد يترك آثاراً عميقة في بنية المجتمع، قد تؤدي إلى استمرار ثقافة العنف حتى بعد انتهاء المرحلة الاستعمارية، وهذا ما يجعل من الصعب الانتقال إلى مرحلة بناء الدولة الوطنية على أسس ديمقراطية وسلمية [2]

كما ان العنف كآلية للتغيير قد يؤدي إلى تكريس بنية عسكرية صارمة في قيادة حركات التحرر، وهذه البنية تميل عادة إلى الاســـتمرار حتى بعد تحقيق الاســـتقلال، مما يعيق عملية التحول الديمقراطي في مرحلة ما بعد الاستعمار [3]

---

[1] امنة صيافة، سلمى عفايفية، المرجع السابق، ص 71 – 73.

[2] جعيط هشام. الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي. بيروت: دار الطليعة، 1984، ص 176.

[3] مهري عبد الحميد. "الثورة الجزائرية والتحول الديمقراطي". مجلة المستقبل العربي. عدد 120، 1989، ص 48.

قد يؤدي العنف كآلية للتغيير إلى إعادة إنتاج نفس العلاقات الاســتعمارية في صــور جديدة، حيث تتحول النخب الثورية التي قادت حركات التحرر إلى قوى مهيمنة تمارس آليات القمع والإقصـــاء ذاتها التي مارســـها المســتعمر. وهنا يغفل فانون عن المخاطر البعيدة المدى للعنف الثوري، الذي قد يتحول إلى ثقافة مســتدامة تعيق بناء دولة ديمقراطية، وتفتح المجال أمام النخب الثورية لتصبح نسخة جديدة من المستعمر[1].

خلاصة الفصل الثاني

تناول هذا الفصل مفهوم العنف بوجه عام وفي فكر فرانز فانون بوجه خاص، مع التركيز على دوره في مسار النضال ضد الاستعمار. أظهر التحليل لأعمال فانون، ولا سيما كتابه معذبو الأرض، أن العنف يتجاوز صورته الجسدية ليشمل أبعادا هيكلية وثقافية ورمزية وسياسية. وقد اعتبر فانون العنف أداة للتحرر ورد فعل حتمي على عنف المستعمر، بل وسيلة لاستعادة الذات والوعي لدى المستعمر، مؤكداً في الوقت نفسه على آثاره النفسية العميقة. كما بين أن العنف يشكّل ضرورة تاريخية وحتمية في مواجهة الاستعمار، ومرحلة انتقالية نحو التحرر الكامل. غير أن أطروحته أثارت انتقادات واسعة، إذ رأى كثيرون أن تبرير العنف كوسيلة للتغيير ينطوي على مخاطر جمة، سواء من حيث حدوده أو تبعاته بعيدة المدى. وتكشف جدلية العنف بين المستعمر والمستعمر عن علاقة معقدة، يكون فيها عنف المستعمر استجابة مباشرة لبنية العنف الاستعماري. ومن ثم، فإن هذا الفصل يعد محوراً أساسياً لفهم أطروحة فانون التحررية التي ربطت بين العنف والهوية والتحرر في سياقات الكولونيالية وما بعدها، مقدماً بذلك أساساً نظرياً لفهم ديناميكيات العنف الثوري.

[1] الخطيبي عبد الكبير. في الكتابة والتجربة. الدار البيضاء: دار العودة، 1980، ص 123.

الفصل الثالث: إسقاطات العنف وآثاره على الكولونيالية المعاصرة

تمهيد:

سنتناول في هذا الفصل تحليل إسقاطات العنف الاستعماري وآثاره الممتدة في سياق الكولونيالية المعاصرة، مع التركيز على الآثار النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي خلفها هذا العنف على المجتمعات المستعمرة. كما سنبحث في تطور أشكال العنف ضمن إطار الكولونيالية الجديدة، من التبعية الاقتصادية إلى الهيمنة الثقافية والعنف المؤسساتي. وسنختم بتطبيق نظرية فرانز فانون على الواقع المعاصر، مستعرضين الحركات التحررية المتأثرة بأفكاره، ومستكشفين البدائل المعاصرة للعنف كأداة للتغيير الاجتماعي والسياسي في عصر العولمة.

أولاً: آثار العنف

1. الآثار النفسية والاجتماعية

أ- التأثيرات النفسية للعنف الاستعماري على الشعوب المستعمرة

العنف الاستعماري لا يقتصر على فرض هيمنته على حاضر الشعوب المستعمرة، بل يمتد ليطال ماضيها بهدف محوه أو تشويهه. فالاستعمار يسعى إلى إقناع السكان الأصليين بأن قيمه وممارساته تمثل الخلاص من الجهل والتخلف، الأمر الذي يُحدث عملية استلاب نفسي عميقة. وفي خضم هذه العملية، يستبطن المستعمر نظرة المستعمر الدونية نحوه، مما يولّد لديه شعوراً بالاغتراب والانفصام الداخلي في الشخصية .[1] العنصرية الكولونيالية كمجموعة سلوكيات وردود افعال مكتسبة وتكرر منذ الطفولة الاولة ثابتة ومعززة بالتربية . تنغرس عفويا في الحركات والكلمات حتى الاكثر بساطة الى ان تبدو كواحدة من اكثر البنى والإس تدمارية صلابة .[2]

لقد كان للأثر النفسي للاستعمار الفرنسي على المجتمع الجزائري نتائج عميقة، تمثلت في خلق حالة من الانشطار الهوياتي التي أرهقت الفرد الجزائري وأوقعته في أزمة هوية حادة. فقد سعت السياسة الاستعمارية الفرنسية إلى طمس الثقافة المحلية وفرض نموذجها الثقافي، الأمر الذي أسفر عن تشكّل هوية مشوهة ومضطربة، تتسم بالازدواجية والتناقض الداخلي. ونتيجة لذلك وجد الفرد الجزائري نفسه معلقاً بين ثقافتين متباينتين، عاجزاً عن تحقيق انتماء كامل لأي منهما.[3]

من بين أخطر التأثيرات النفسية للعنف الاستعماري على المجتمعات الخاضعة له، ظاهرة استدخال العنف وتحويله إلى عنف موجه نحو الذات. فالعنف الذي يمارسه المستعمر على المستعمَر لا يتوقف عند حدود العلاقة الاستعمارية المباشرة، بل يتسرب إلى النسيج الداخلي للمجتمع المستَعمر، حيث يتحول إلى أنماط من العنف المتبادل بين أفراده. وقد انعكس ذلك في انتشار مظاهر العنف الأسري والمجتمعي في أعقاب التجربة الاستعمارية، بما يعكس حالة الإحباط والقهر المتراكم التي عاشتها الشعوب المستعمرة. إن هذه التأثيرات تمثل جروحا نفسية غائرة في وعي الجماعة، تفضي إلى تشوه نظرتها لذاتها ولهويتها، وهي آثار لا تنتهي بانتهاء الاستعمار، بل تمتد لتصبح جزءاً من البنية النفسية والاجتماعية المتوارثة عبر الأجيال. [4]

---

[1] فانون فرانز، "معذبو الأرض"، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسيالمرجع السابق ، ص 48

[2] فرانز فانون : فنزة العنف ومزالق فضاء ما بعد الاستعمار –قراءة في ضوء النقد ما بعد الاستعماري

[3] حربي محمد، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر، 1994، ص 127

[4] مزيان عبد المجيد، "السيكولوجيا الاجتماعية للاستعمار: دراسة حالة الجزائر"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003، ص 215.

ب- الآثار الاجتماعية والثقافية طويلة المدى

تمتد آثار العنف الاستعماري لتشمل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات المستعمرة، وتستمر هذه الآثار لفترات طويلة حتى بعد انتهاء الاستعمار المباشر. فلقد عمل الاستعمار الفرنسي في الجزائر على تفكيك البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري من خلال سياسات ممنهجة استهدفت مؤسساته الأساسية كالقبيلة والعائلة الممتدة والزاوية، وذلك بهدف كسر روابط التضامن الاجتماعي التي كانت تشكل أساس المقاومة ضد المشروع الاستعماري. وقد أدت هذه السياسات إلى إحداث تصدعات عميقة في النسيج الاجتماعي الجزائري استمرت آثارها حتى بعد الاستقلال، وتجلت في صورة أزمات هوية وانتماء وصراعات اجتماعية داخلية.[1]

كما أدت السياسة الاستعمارية التي استهدفت الأراضي الزراعية من خلال مصادرتها وتوزيعها على المعمرين الأوروبيين إلى تفكيك البنية الاقتصادية التقليدية للمجتمع الجزائري، وهجرة أعداد كبيرة من الفلاحين إلى المدن، مما نتج عنه تحولات اجتماعية عميقة تمثلت في ظهور ظواهر اجتماعية جديدة كالتهميش والفقر الحضري والبطالة. وقد استمرت هذه التشوهات الاجتماعية حتى بعد الاستقلال، وشكلت عائقاً أمام عملية بناء المجتمع الوطني بعد الاستقلال. [2]و أحد أهم الآثار الاجتماعية للاستعمار هو خلق طبقية اجتماعية جديدة مرتبطة بالمصالح الاستعمارية، وقد تجلى ذلك في ظهور فئات اجتماعية جديدة مثل صغار الموظفين والعمال في المشاريع الاستعمارية، والذين شكلوا ما يمكن تسميته بـ'البروليتاريا الاستعمارية'. هذه الفئات الجديدة كانت تعيش حالة من الاغتراب المزدوج، فهي من جهة منفصلة عن بنيتها الاجتماعية التقليدية، ومن جهة أخرى غير مندمجة كلياً في النظام الاجتماعي الاستعماري. [3]

أما على المستوى الثقافي فان السياسة الثقافية الاستعمارية التي استهدفت تهميش اللغة العربية والهوية الإسلامية للشعب الجزائري، والتي تمثلت في إغلاق المدارس العربية والزوايا والمساجد، ومصادرة الأوقاف الإسلامية، وفرض التعليم الفرنسي، مما أدى إلى انتشار الأمية بين الجزائريين وتراجع مكانة اللغة العربية وانحسار دورها في الحياة

---

[1] سعد الله أبو القاسم، "الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900"، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 324.

[2] أحمد بن نعمان، الجزائر تحت الاستعمار: السياسة الاستعمارية وأثرها على المجتمع الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص. 210.

[3] الكنز علي، "من الاستعمار إلى ما بعد الاستقلال: المجتمع الجزائري والتحولات البنيوية"، الطبعة الأولى، منشوراتCRASC ، وهران، 2005، ص 109.

العامة. وقد خلّفت هذه السياسة أزمة لغوية وثقافية عميقة في المجتمع الجزائري استمرت آثارها حتى بعد الاستقلال، وتجلت في صورة صراع لغوي وثقافي حاد. وإن أخطر ما خلفه الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو ذلك الشرخ الثقافي العميق الذي أحدثه في المجتمع الجزائري، والذي تجلى في ظهور نخبتين ثقافيتين متباعدتين: نخبة متفرنسة تتبنى النموذج الثقافي الفرنسي وتنظر بدونية إلى الثقافة المحلية، ونخبة محافظة متمسكة بالأصالة الثقافية وترفض الانفتاح على الثقافة الغربية. وقد أدى هذا الانقسام الثقافي إلى صراعات فكرية وسياسية حادة استمرت بعد الاستقلال وأثرت سلباً على مسار البناء الوطني. [1]

هي مجموعة التغيرات الهيكلية التي طرأت على المجتمعات المستعمرة والتي أدت إلى تفكك أنماط الحياة التقليدية وإعادة تشكيلها وفق نموذج مشوه. تتجلى هذه الآثار في الانقسامات الثقافية والهوياتية التي تستمر حتى بعد رحيل المستعمر.

2. الآثار السياسية والاقتصادية

أ- تشكيل الدول ما بعد الاستعمار

شكّل العنف الاستعماري وآثاره عاملاً محورياً في تشكيل بنية الدول التي نشأت بعد الاستقلال. فالعلاقة بين العنف والسلطة امتدت من المرحلة الاستعمارية إلى ما بعد الاستقلال، وإن اختلفت أشكالها وخطاباتها.

إن الاستعمار عنف في حالته الصافية، ولن يتراجع إلا أمام عنف أشد منه. لذلك فإن المستعمر الذي يقرر تنفيذ برنامج الاستعمار، وجعل عملية التحرير، لا يمكنه إلا أن يسير وفق طريق العنف ذاته، وبالتالي فالعنف المضاد يصبح هنا ضرورة لتحقيق الاستقلال، كما أنه سيمتد إلى مرحلة ما بعد الاستعمار في علاقة الدولة بمواطنيها، فالعنف الاستعماري المتراكم سيؤثر حتماً على طبيعة السلطة التي ستقوم مكانه.[2]

فلم تنجح الدولة الوطنية التي ظهرت بعد الاستقلال في التخلص من الإرث الاستعماري، فقد استمرت في استخدام الأساليب الاستعمارية نفسها في التعامل مع المجتمع، مما أدى إلى استمرار مظاهر العنف السياسي وتحويله إلى آلية أساسية في ممارسة السلطة. [3]و انتقل العنف الذي ميز النظام الاستعماري إلى مرحلة ما بعد الاستقلال،

---

[1] ولد خليفة محمد العربي، "المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية"، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 156.

[2] فانون فرانز، "معذبو الأرض، المرجع السابق، ص 35.

[3] العروي عبد الله، مرجع سبق ذكره، ص 124

فقد استمرت الدولة الوطنية في ممارسة العنف ضد المجتمع، لكن بآليات جديدة تستمد شرعيتها من خطاب الوحدة الوطنية والتنمية. لقد أنتجت التجربة الاستعمارية نمطاً معيناً من السلطة يقوم على استخدام القوة والإكراه، وهو ما تبنته النخب السياسية التي استلمت السلطة بعد الاستقلال، فتحولت بذلك من نخب تحررية إلى نخب استبدادية.[1]

فالمجتمعات التي خضعت للاستعمار عانت من ظاهرة 'القابلية للاستعمار' التي تشكلت بفعل التأثير العميق للنظام الاستعماري على الذهنية والسلوك، وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث أصبحت الدولة الوطنية تمارس شكلاً جديداً من الاستعمار الداخلي، مستخدمة الأدوات نفسها التي استخدمها المستعمر سابقاً.[2]

ب- إعادة هيكلة العلاقات الاقتصادية والسياسية بين المستعمِر والمستعمَر

لم تنته العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر بحصول الأخير على استقلاله السياسي، بل أعيد هيكلتها وفق آليات جديدة تضمن استمرار الهيمنة الاقتصادية للقوى الاستعمارية السابقة. لم يمنع الاستقلال السياسي استمرار العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة بين الدول المستعمِرة سابقاً والدول التي كانت مستعمَرة، فقد تم استبدال الاستعمار المباشر بنظام اقتصادي عالمي يضمن استمرار تدفق الفائض الاقتصادي من الأطراف (الدول السابقة المستعمَرة) إلى المراكز (الدول الاستعمارية). [3]و رغم استقلال الجزائر سياسياً، إلا أن فرنسا حافظت على مصالحها الاقتصادية من خلال اتفاقيات إيفيان التي تضمنت بنوداً تضمن استمرار الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر، خاصة في مجال استغلال النفط والغاز. وقد شكّلت هذه الاتفاقيات نموذجاً لاستمرار علاقات الاستغلال الاقتصادي في مرحلة ما بعد الاستعمار، وهو ما أصبح يعرف بالاستعمار الجديد.[4]

وان أحد أهم آليات استمرار الهيمنة الاستعمارية في مرحلة ما بعد الاستقلال هي التبعية التقنية والمعرفية، حيث تظل الدول المستقلة حديثا معتمدة على الدول المتقدمة (المستعمِرة سابقا) في مجال التكنولوجيا والمعرفة العلمية، مما يجعلها غير قادرة على تحقيق استقلالها الاقتصادي الحقيقي.[5]وان استمرار التبعية الاقتصادية للجزائر

---

[1] حربي محمد، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص 213.

[2] بن نبي مالك، "مشكلة الثقافة"، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 97.

[3] أمين سمير، "التطور اللامتكافئ: دراسات في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية"، دار الطليعة، بيروت، 1974، ص 143.

[4] سعد الله أبو القاسم، مرجع سبق ذكره ، ص 287.

[5] جعيط هشام، "الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي"، دار الطليعة، بيروت، 1984، ص 156.

لفرنسا بعد الاستقلال من خلال آليات مختلفة، منها التبعية التجارية والتبعية التكنولوجية والتبعية المالية، وقد ساهمت هذه التبعية في استمرار النمط الاستهلاكي الذي فرضه الاستعمار وعرقلة جهود التنمية المستقلة. واستمرار الهيمنة الاستعمارية بعد الاستقلال السياسي تجلى أيضاً في المجال الثقافي، حيث استمرت الدول المستعمرة سابقاً في ممارسة نوع من العنف الرمزي الذي يفرض نموذجاً ثقافياً معيناً، وهو ما يتجلى في استمرار هيمنة اللغة والثقافة الفرنسية في الجزائر، وهو ما أدى إلى انقسام النخبة الجزائرية بين تيار فرنكفوني وتيار عروبي.[1]

نجح الاستعمار الجديد في الاستمرار في استغلال موارد الدول المستقلة من خلال آليات أكثر تعقيداً وأقل وضوحاً، كالشركات متعددة الجنسيات والقروض والمساعدات المشروطة والهيمنة الثقافية، وهي آليات أثبتت فعاليتها في الحفاظ على مصالح الدول المستعمرة سابقاً دون الحاجة إلى التدخل العسكري المباشر.[2]

تمثل إعادة هيكلة العلاقات بين المستعمر والمستعمر تحولًا في آليات الهيمنة من الاستعمار المباشر إلى أشكال أكثر تعقيدا وخفاء. استبدلت القوة العسكرية بأدوات اقتصادية وثقافية تضمن استمرار تدفق الموارد من الدول المستقلة حديثا إلى القوى الاستعمارية السابقة.

ثانياً: العنف والكولونيالية

تعددت تعريفات الكولونيالية ومفاهيمها عبر مدارس فكرية مختلفة، وفيما يلي أبرز هذه التعريفات :

يشير هذا المصطلح للوهلة الأولى ومن خلال اشتقاقاته اللغوية إلى المرحلة التي تلي الفترة الاستعمارية، ولكن هذا التوجه الفكري هو أكثر ما يحذّر منه الكثير من النقاد، إذ يخشى هؤلاء من الوقوع في فخ ال"ما بعد" التي توحي بالكرونولوجية، والتعاقبية، والمرحلية مما يوحي بتطابق مصطلح "ما بعد الاستعمار" ب"ما بعد الاستقلال"، ومرد هذه الخشية هو امتداد آثار الاستعمار -السياسية والثقافية على وجه خاص- لمرحلة ما بعد الاستقلال مما يجعل السؤال المطروح هو "متى تبدأ ما بعد الاستعمار فعلا؟

---

[1] بورديو بيير، "الرمز والسلطة"، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007، ص 64.

[2] بن مزيان عبد الرحمن: "التأثيرات السيكولوجية للاستعمار الفرنسي في الجزائر"، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010، ص 198.

وإذا كان بعض النقاد يتحسس من ضبابية الدلالة التاريخية لل"ما بعد"، فإنّ البعض الآخر يتحسس من دلالتها المنهجية وارتباطها بالموضة حيث انتشرت مؤخرا موجة من" الما بعديات" على نحو "ما بعد الحداثة" و"ما بعد البنيوية" و"ما بعد النسوية... الخ

تدلّ هذه المخاوف على غموض مصطلح "ما بعد الكولونيالية" وضبابية تخومه، وهذا ما أدى بالنقاد إلى وضع عشرات التعريفات له، وقد حصر دوغلاس روبنسون ثلاث تعريفات تتفاوت أطرها التاريخية بشكل ملحوظ.[1]

الكولونيالية هي نظام متكامل من السيطرة يتجاوز مجرد الاحتلال العسكري والسياسي لأراضي الشعوب الأخرى. فهي تشمل عدة أبعاد متداخلة: استغلال اقتصادي للموارد المحلية، استيطان بشري، هيمنة ثقافية ومعرفية، وممارسة عنف بنيوي يستهدف تشويه هوية المستعمر وإضعاف ثقته بنفسه. تنشأ عن الكولونيالية علاقة غير متكافئة بين المستعمِر والمستعمَر تجعل الأخير يستبطن نظرة المستعمِر السلبية إليه، مما يؤدي إلى حالة من الاستلاب الذاتي والتبعية تستمر حتى بعد انتهاء الاحتلال المباشر[2].

1. الكولونيالية الجديدة وأشكالها المعاصرة

هذه البرجوازية الوطنية المتعلمة والمتنورة، التي استوعبت بعمق الآليات الخفية للخطاب الاقتصادي والسياسي الاستعماري، ستنتهج مسلكاً لا يختلف كثيراً عن نظيرتها الأوروبية [...] إنها تقتنع أكثر فأكثر بدورها كوسيط. وهي لا تستخدم امتيازاتها إلا لتجني فوائد جديدة وتطور نفوذها. فهي ترسل للشعب رسالاً ممثلة في نقل أوامر من الحكومة إلى المواطنين، فلا تمتلك من الشرعية ما يبرر وجودها ولا المصداقية التي تسمح لها بفرض مشروع معين. إنها تصبح في نهاية المطاف رأس جسر للرأسمالية الغربية، وستتحول بالتدريج من وسيط إلى أداة.[3]

جوهر الكولونيالية الجديدة هو أن الدولة التي تخضع لها قد تكون مستقلة نظرياً وتمتلك كل مقومات السيادة الدولية، لكن نظامها الاقتصادي وبالتالي سياستها يتم توجيههما من الخارج. أساليب ووسائل هذا التوجيه تأخذ أشكالاً مختلفة. في الحالات القصوى، تكون القوات المسلحة للقوة الإمبريالية متمركزة في أراضي الدولة التابعة ومسيطرة على حكومتها. لكن في أغلب الأحيان، تكتفي الكولونيالية الجديدة بالسيطرة الاقتصادية والنقدية،

---

[1] مديحة عتيق، "ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، أطروحاتها"، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 7، العدد 18، 15 مارس 2015.ص228.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض، المرجع السابق ، ص. 35-40.

[3] فانونفرانز، معذبو الأرض، المرجع السابق، ص 125-126

وتستطيع عبر مشاريع 'المعونة'، والقروض، والخبراء الفنيين أن تملي سياسات الدول التابعة وتوجهها بما يخدم مصالحها[1].

الكولونيالية الجديدة تمثل تطورا خبيثا للهيمنة حيث تحافظ القوى الكبرى على سيطرتها دون احتلال عسكري مباشر. هي استعمار بوجه جديد يستخدم أدوات اقتصادية وثقافية أكثر تعقيدا لإدامة علاقات التبعية والهيمنة.

أ- التبعية الاقتصادية

من خلال استيلاء الاستعمار على ثروات وخيرات دول العالم الثالث : استطاع بذلك أن يخلق داخل هذه المجتمعات حالة من الاحتياج الشديد للغير، وكان هذا أهم سبب في تغيير المستعمر الخريطته في التعامل مع دول العالم الثالث، حيق كان الاستيلاء على ثروات هذا العالم من قبل يتطلب القوة العسكرية والتدخل المباشر بالنهب والسرقة، أما ما بعد الحرب الأوروبية فقد تحول الاستعمار وابتدع شكلا جديدا يقوم أساسا على ربط بلدان العالم الثالث به عن طريقالتبعية الاقتصادية، والتي تأخذ شكلين المبادلات التجارية، والتوظيفات والمساعدات الأجنبية، ومثال ذلك: صندوق النقد الدولي.[2].

ب- الهيمنة الثقافية والفكرية

استخدام الفكر في عملية احتلال الشعوب يعد كالحرب الناعمة، لأنه يتشكل في أثواب مختلفة لا تتم ملاحظتها إلا من خلال النخبة التي تكون على درجة من الوعي والثقافة، فتتسلل بذلك إلى عقول العامة والأغلبية دون قتل الأجساد، فتقتل المقاومة تجاه هذا المحتل بنسبة كبيرة ، ويترتب على ذلك أن تتحول عقول الدول المستعمرة إلى التبعية " للمحتل في نمط ثقافته، وبهذا تكون عقلية وأرض هذا المستعمر جاهزة لأن تحتل دون استخدام القوة العسكرية ؛ فمن خلال ضمان تبعية هذا المستعمر للمستعمر ؛ يكون نهب ثرواته بالمجان دون تكلفة عسكرية تذكر.[3]

---

[1] نكروما كوامي، الكولونيالية الجديدة: آخر مراحل الإمبريالية. ترجمة: أحمد القصير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ص 20-19

[2] إيمان فتحي محمد حسن، الاستعمار: الأنواع والدواعي، مجلة الدراسات العربية، مجلد 48، العدد 4،جامعة المنيا، الجمهورية العربية المصرية، 2023 ، ص 2168

[3] إيمان فتحي محمد حسن ، المرجع السابق ص 2169.

ت– أشكال الاستعمار غير المباشر

تتخذ السيطرة الاستعمارية الجديدة أشكالاً أكثر تعقيداً، تشمل السيطرة على الموارد الطبيعية من خلال الشركات متعددة الجنسيات، والتحكم في السياسات الاقتصادية من خلال المؤسسات المالية الدولية، والتدخل السياسي المباشر وغير المباشر لدعم النخب الموالية للمصالح الغربية. وتكمن خطورة هذه الأشكال الجديدة من الاستعمار في كونها تتغلغل في البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدول النامية، وتعمل على إعادة تشكيلها وفق منطق يخدم مصالح المراكز الرأسمالية، مع الحفاظ على مظهر الاستقلال والسيادة الوطنية. ويتم ذلك من خلال آليات متعددة، تشمل الديون الخارجية، والمساعدات الاقتصادية المشروطة، واتفاقيات التجارة غير المتكافئة، والتدخل العسكري تحت غطاء الشرعية الدولية. وهذه الآليات تعمل بشكل متكامل على تكريس التبعية وإعادة إنتاجها في سياق عالمي متغير[1].

الاستعمار غير المباشر لا يتجلى في جيوشٍ غازية أو احتلال مرئي، بل يتسلل عبر شبكة متشابكة من المؤسسات المالية الدولية والشركات متعددة الجنسيات التي ترفع شعارات براقة من قبيل "التنمية" و"الإصلاح". إنّه استعمار مقنّع، يكتسب مشروعيته من غطاء "القانون الدولي" و"التوافقات العالمية"، ما يجعله أشد خطورة من الاستعمار التقليدي، لأنه يرسخ التبعية في صورة تعاون، ويفرض الهيمنة في ثوب الشراكة.[2]

2. استمرارية العنف في ظل الكولونيالية الجديدة

أ– العنف الاقتصادي العالمي

إن الاستعمار ليس آلة تفكير ولا جسماً موهوباً بالعقل. إنه عنف في حالته الطبيعية ولن ينحني إلا أمام عنف أكبر منه.[3]

ولقد تحولت آليات الهيمنة الاستعمارية من السيطرة المباشرة إلى شبكة معقدة من العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة التي تكرس التبعية وتضمن استمرار تدفق القيمة من الأطراف إلى المركز. تشكل المديونية والتبادل غير المتكافئ والاستثمارات الأجنبية المباشرة الأدوات الرئيسية لهذا النمط الجديد من الهيمنة الذي يمكن وصفه بالاستعمار

---

[1] رودني والتر، كيف أخرت أوروبا نمو إفريقيا. ترجمة: أحمد القصير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، ص 213–214

[2] إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997)، ص. 95-100.

[3] فرانز فانون، "معذبو الأرض، المرجع السابق، ص61.

الاقتصادي.[1] و تعمل الرأسمالية المعاصرة على توسيع نطاقها من خلال ما أسميه 'التراكم عن طريق السلب'، وهي عملية تشمل خصخصة الممتلكات العامة، وفرض سياسات التقشف، واستنزاف الموارد الطبيعية، والتلاعب في الأسواق المالية. هذه الآليات تمثل امتداداً مباشراً للممارسات الاستعمارية التقليدية وإن كانت أكثر تعقيداً وأقل وضوحاً.[2]

الاستعمار غير المباشر لا يظهر في صورة الاحتلال العسكري المباشر، بل يتجلى في شبكة معقدة من المؤسسات المالية الدولية والشركات متعددة الجنسيات التي ترفع شعارات "التنمية" و"الإصلاح". إنه استعمار مخاتل يكتسب مشروعيته من غطاء "الشرعية الدولية" و"العقلانية الاقتصادية"، فيرسخ التبعية في صورة تعاون، ويفرض الهيمنة في ثوب الشراكة. ومن أبرز آلياته برامج التكيف الهيكلي التي يفرضها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، إذ تمثل شكلاً من أشكال العنف الاقتصادي المنظم الذي يستهدف البنى الاجتماعية في البلدان النامية. فهذه البرامج تُفرض تحت ذريعة "إصلاح الاقتصاد"، لكنها تؤدي عملياً إلى تخفيض الإنفاق الاجتماعي، وخصخصة الخدمات العامة، وتحرير التجارة، وهو ما يسهم في تفكيك شبكات الأمان الاجتماعي وتعميق الفقر والتفاوتات الطبقية. وبهذا يصبح الاقتصاد ذاته أداة لإعادة إنتاج التبعية، والعقلانية المزعومة وسيلة لإضفاء الشرعية على بنى جديدة من العنف البنيوي أكثر خطورة من الاستعمار التقليدي.[3]

ب– العنف الثقافي والإعلامي

تعمل الإمبريالية على المستوى الثقافي بموازاة عملها على المستوى السياسي والاقتصادي، فهي تسعى إلى السيطرة على مخيلة الشعوب المستعمرة وإعادة تشكيل وعيها وفق النموذج الغربي. إن الهيمنة الثقافية لا تقل خطورة عن الهيمنة العسكرية والاقتصادية، بل قد تكون أكثر استمرارية وتأثيراً. و يستمر العنف الثقافي حتى بعد انتهاء الاستعمار المباشر من خلال تكريس التمثيلات النمطية للآخر غير الغربي، وفرض نظام معرفي وقيمي يهمش الثقافات المحلية ويعتبرها دونية. هذه العملية ليست مجرد سيطرة ثقافية خارجية، بل تتغلغل في وعي المستعمر نفسه وتدفعه إلى استدماج نظرة المستعمر إلى ذاته وثقافته.[4]

---

[1] سمير أمين، مرجع سبق ذكره ، ص127.

[2] دافيد هارفي، "الإمبريالية الجديدة"، ترجمة حاتم حميد محسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص145.

[3] باتريك بوند، "المؤسسات المالية الدولية والهيمنة العالمية"، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009، ص83.

[4] هومي بابا، "موقع الثقافة"، ترجمة ثائر ديب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006، ص104

تمارس وسائل الإعلام الغربية عنفاً رمزياً على المجتمعات النامية من خلال نشر صور نمطية عنها وتشويه تاريخها وثقافتها. كما تعمل هذه الوسائل على ترويج نموذج ثقافي استهلاكي يقوض الهويات الثقافية المحلية ويعزز التبعية الثقافية. إن هيمنة الشركات الإعلامية العالمية على صناعة المحتوى الإعلامي والثقافي تشكل استمراراً للهيمنة الاستعمارية في المجال الرمزي والثقافي.[1]

تشكل الهيمنة اللغوية أحد أخطر أشكال العنف الثقافي، إذ إن اللغة ليست مجرد أداة للتواصل، بل هي وعاء للهوية وذاكرة للتاريخ وحاملة للثقافة. إن فرض لغة المستعمر وتهميش اللغات المحلية لا يقتصر على تغيير أداة التعبير، بل يمثل عنفاً رمزياً يستهدف البنية العميقة للوعي الجمعي، من خلال قطع الصلة بالجذور الثقافية وربط المجتمعات المستعمرة بمنظومة القيم والمفاهيم الغربية. وإلى جانب ذلك، يبرز العنف الثقافي والإعلامي الذي يعمل على إعادة تشكيل الوعي عبر نشر صور نمطية وتشويه التاريخ وتبخيس التراث. إنه شكل من الاستلاب الثقافي يضعف المناعة الحضارية للمجتمعات ويجعلها عرضة لاختراقات ممنهجة تعيد إنتاج التبعية في مستوى الرموز والدلالات والمعاني..[2]

ت- العنف المؤسساتي والقانوني

يتجلى العنف المؤسساتي والقانوني في سياق الكولونيالية الجديدة من خلال استخدام المؤسسات الدولية والقوانين والاتفاقيات الدولية كأدوات لإعادة إنتاج علاقات الهيمنة والتبعية. فتعكس المؤسسات الدولية التي تأسست بعد الحرب العالمية الثانية موازين القوى العالمية وتعمل على ضمان استمرار هيمنة القوى الكبرى على النظام العالمي. فمجلس الأمن والمؤسسات المالية الدولية والمنظمات التجارية العالمية تشكل في جوهرها آليات لإدارة النظام العالمي بما يخدم مصالح الدول المهيمنة.[3]

و يمثل القانون الدولي المعاصر امتدادا للقانون الاستعماري الذي نشأ في سياق التوسع الاستعماري الأوروبي. فرغم التحولات الشكلية التي طرأت عليه بعد استقلال الدول المستعمرة، إلا أنه لا يزال يعكس البنى غير المتكافئة للنظام العالمي ويشرعن الهيمنة الغربية. تتجلى هذه الهيمنة من خلال الانتقائية في تطبيق مبادئ السيادة والتدخل

---

[1] عبد الرحمن عزي، "الإعلام وتفكك البنى الثقافية في المنطقة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص92.

[2] نغوغي واثيونغو، "تحرير العقل: دراسات في السياسة اللغوية الإفريقية"، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص71.

[3] بول كينيدي، "صعود وسقوط القوى العظمى"، ترجمة مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص397

الإنساني، واستخدام الشرعية الدولية لتبرير التدخلات العسكرية والاقتصادية في الدول المستقلة. لم تتخلص مؤسسات الدولة في البلدان الأفريقية بعد الاستقلال من الإرث الاستعماري، بل استمرت في تبني النماذج المؤسسية الاستعمارية وآليات عملها. وتجلى ذلك في استمرار الانفصال بين النخبة الحاكمة والمجتمع، والاعتماد على العنف والقهر في إدارة المجتمع، وتهميش المؤسسات التقليدية والمحلية. هذا الاستمرار المؤسساتي شكل عائقاً أساسياً أمام تحقيق التحرر الحقيقي والديمقراطية في هذه البلدان.[1]

تمارس المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي شكلاً من العنف المؤسساتي على البلدان النامية عبر فرض سياسات اقتصادية موحدة لا تراعي خصوصياتها وظروفها التاريخية والاجتماعية. وتتجلى هذه السياسات في برامج التكيف الهيكلي والخصخصة وتحرير التجارة والاستثمار، وهي إجراءات تؤدي في الغالب إلى تفكيك البنى الاقتصادية المحلية وإضعاف شبكات الحماية الاجتماعية وزيادة الفقر والتفاوت. وبذلك تتحول هذه المؤسسات إلى أداة لإعادة إنتاج علاقات التبعية وعدم المساواة بين الشمال والجنوب ضمن منظومة الهيمنة العالمية. ويأخذ هذا العنف بعداً آخر حين يوظّف الإطار القانوني الدولي لإضفاء طابع "الشرعية" على هذه الممارسات، بحيث يعاد إنتاج علاقات السيطرة والاستغلال تحت غطاء القانون الدولي والشرعية العالمية، وهو ما يجعل أي محاولة للمقاومة أو الاعتراض تبدو وكأنها خروج عن النظام الدولي.[2]

ثالثاً: تطبيقات نظرية فانون في الواقع المعاصر

1. حركات التحرر والمقاومة المعاصرة

أ- تأثير فكر فانون على الحركات المناهضة للإمبريالية

شكّلت أفكار فرانز فانون مصدر إلهام وتأطير نظري للعديد من حركات التحرر والمقاومة المناهضة للإمبريالية في مختلف أنحاء العالم. ولقد تجاوز تأثير فانون الحدود الجغرافية والثقافية ليصبح مرجعا أساسيا للحركات الثورية في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا. قدّم فانون نظرية ثورية شاملة تربط بين التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي والتحرر النفسي، مما جعل أفكاره قابلة للتطبيق في سياقات متنوعة. وقد استلهمت حركات مثل الفهود السود في الولايات المتحدة، وجبهة تحرير موزمبيق، والحركة الطلابية في أمريكا اللاتينية من تحليلاته حول العنف الاستعماري وضرورة

---

[1] محمود ممداني، "المواطن والرعية: إفريقيا وإرث الاستعمار المتأخر"، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، دار العين للنشر، القاهرة، 2012، ص183.

[2] جوزيف ستيغليتز، "العولمة ومساوئها"، ترجمة فالح عبد الجبار، عالم المعرفة، الكويت، 2003، ص152.

المقاومة الشاملة. [1]و يكمن جوهر فكر فانون في تأكيده على أن تحرير الإنسان الأسود لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال مواجهة شاملة مع بنى الهيمنة العنصرية والاستعمارية. وقد شكلت هذه الرؤية الأساس النظري لحركات مناهضة الفصل العنصري في جنوب أفريقيا وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة. لقد أدرك قادة هذه الحركات، مثل ستيف بيكو ومالكوم إكس، أهمية تحرير الوعي من آثار الاستعمار الداخلي كخطوة أساسية نحو التحرر الحقيقي. [2]

و شكّلت أطروحات فانون حول العنف التحرري والهوية الوطنية والثقافة المقاومة مصدراً مهماً للفكر الثوري الفلسطيني، خاصة في سبعينيات القرن العشرين. فقد استلهمت منظمة التحرير الفلسطينية من تحليلاته حول ضرورة الكفاح المسلح كوسيلة لتحرير الوعي الجمعي من آثار الاحتلال، ودور المثقف الثوري في بناء الوعي الوطني المقاوم. كما شكلت أفكاره حول علاقة المستعمَر بالمستعمِر إطاراً لفهم ديناميات الصراع وتحديد استراتيجيات المقاومة.[3]

و لقد امتد تأثير فانون إلى الحركات الثوريةَ في أمريكا اللاتينية، خاصة حركة الثورة الكوبية والحركات الثورية في نيكاراغوا والسلفادور. فقد تبنى قادة هذه الحركات، مثل تشي غيفارا وكارلوس فونسيكا، رؤية فانون حول العلاقة بين التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي، ودور الفلاحين والمهمشين في عملية التغيير الثوري. كما استلهموا من تحليلاته حول دور المثقف الثوري ونقده للبرجوازية الوطنية التي تتواطأ مع قوى الاستعمار الجديد.[4]

تجاوز تأثير فانون الجانب النظري ليشمل الجوانب التنظيمية والاستراتيجية للحركات المناهضة للإمبريالية. فقد استلهمت هذه الحركات من تحليلاته حول ضرورة بناء تنظيمات ثورية متجذرة في الجماهير، ودور المثقفين الثوريين في تعبئة وتوعية الفئات المهمشة. كما استفادت من نقده للنخبوية والبيروقراطية داخل حركات التحرر، وتأكيده على أهمية الديمقراطية الثورية في بناء مجتمع ما بعد الاستعمار. [5]

---

[1] نايجل سي غيبسون، "فانون: المخيلة بعد الاستعمار"، ترجمة خالد عايد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013، ص172.

[2] أشيل مبيمبي، "نقد العقل الزنجي"، ترجمة سعيد العليمي، دار التنوير، بيروت، 2015، ص93.

[3] أليس شريف، "فرانز فانون والثورة الفلسطينية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 25، العدد 3، 2014، ص47

[4] جون بيفرلي، "ضد الأدب"، ترجمة ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016، ص87

[5] إيريك سيلفين، "فانون والسياسة الثورية"، ترجمة حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018، ص76.

فكر فانون تجاوز الإطار النظري ليصبح مرجعية عملية لحركات التحرر عبر ربطه بين التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي والنفسي. قدرته على تجاوز الحدود الجغرافية والثقافية جعلته إطارا نظريا شاملاً للنضال ضد مختلف أشكال الاستعمار والقهر.

ب- تجليات نظرية العنف في الصراعات المعاصرة

تتجلى نظرية فانون حول العنف التحرري في العديد من الصراعات المعاصرة، حيث تستلهم حركات المقاومة والتحرر من أطروحاته حول ضرورة العنف المضاد في مواجهة العنف الاستعماري. فلقد وجدت المقاومة الفلسطينية في أطروحات فانون حول العنف التحرري إطاراً نظرياً لفهم طبيعة الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي. فنظرية فانون التي ترى في العنف المضاد ضرورة لمواجهة العنف الاستعماري وتحرير الوعي الجمعي من آثار القهر والاستلاب، شكّلت مرجعية فكرية للانتفاضات الفلسطينية المتتالية. وقد تجلى ذلك في شعارات الانتفاضة مثل 'لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة' التي تعكس فهماً عميقاً لأطروحة فانون حول دور العنف في تحرير الوعي الجمعي. [1]

تتجلى أطروحات فانون حول العنف التحرري في استراتيجيات حركات الفلاحين والسكان الأصليين في أمريكا اللاتينية، خاصة حركة الزاباتيستا في المكسيك وحركة العمال الريفيين بلا أرض في البرازيل. فقد تبنت هذه الحركات فهماً شاملاً للعنف يتجاوز البعد المادي المباشر ليشمل مقاومة العنف البنيوي والرمزي الذي تمارسه النخب المحلية المرتبطة بالرأسمالية العالمية. كما استلهمت من فانون أهمية تحرير الوعي الجمعي من هيمنة الخطاب الإمبريالي وإعادة بناء الهوية الثقافية كجزء من استراتيجية المقاومة. [2]

استلهمت حركات التمرد الماوية في الهند، خاصة في مناطق القبائل والمناطق الريفية المهمشة، من أطروحات فانون حول العنف التحرري. فقد رأت هذه الحركات في العنف المسلح وسيلة ضرورية لمواجهة العنف البنيوي الذي تمارسه الدولة الهندية والشركات متعددة الجنسيات ضد المجتمعات المحلية، خاصة في سياق مشاريع التنمية القسرية والتهجير واستخراج الموارد الطبيعية. كما استفادت من تحليلات فانون حول دور الفلاحين والمهمشين في عملية التغيير الثوري. [3]

---

[1] محمود درويش، "في حضرة الغياب"، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2006، ص94.

[2] بوفنتورا دي سوزا سانتوس، "نحو علم اجتماع الغيابات"، ترجمة إبراهيم العيسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص154.

[3] ماحوب الحق، "العنف والمقاومة في جنوب آسيا"، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2014، ص82.

و تتجلى أطروحات فانون حول الأبعاد النفسية للعنف التحرري في العديد من الصراعات المعاصرة، حيث يصبح العنف المقاوم وسيلة لاستعادة الذات وتجاوز عقدة الدونية التي زرعها الاستعمار في نفوس المستعمرين. ونلاحظ ذلك بوضوح في حركات المقاومة في العراق وأفغانستان، حيث يتجاوز العنف المقاوم البعد العسكري المباشر ليصبح فعلاً رمزياً لاستعادة الكرامة والهوية المسلوبة. كما نلاحظه في خطابات هذه الحركات التي تربط بين التحرر الوطني والتحرر من الهيمنة الثقافية والاقتصادية للغرب. [1]

تتجلى أطروحات فانون حول العنف التحرري في المجال الثقافي والفني من خلال ظهور أشكال فنية مقاومة تسعى إلى تحرير المخيلة الجمعية من آثار الاستعمار الثقافي. فالمسرح السياسي، والشعر المقاوم، والفن التشكيلي الملتزم، والسينما النضالية، كلها أشكال للعنف الرمزي الذي يواجه العنف الثقافي الاستعماري ويسعى إلى إعادة بناء الوعي الجمعي وتحريره من الهيمنة الثقافية الغربية. وتتجلى هذه الأشكال بوضوح في تجارب المسرح الفلسطيني وشعر محمود درويش وسينما المقاومة في أمريكا اللاتينية. [2]

تجلت أطروحات فانون حول العنف التحرري في الثورات العربية التي اندلعت منذ عام 2011، خاصة في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن. فقد عبرت هذه الثورات عن احتجاج عميق ضد العنف البنيوي الذي مارسته الأنظمة الاستبدادية والنيوليبرالية المرتبطة بالغرب ضد شعوبها. كما عكست فهماً عميقاً لأطروحة فانون حول ضرورة الكفاح الجماعي من أجل تحرير الوعي الجمعي من آثار الاستلاب والقهر. وقد تجلى ذلك في شعارات هذه الثورات مثل 'الشعب يريد إسقاط النظام' التي تعبر عن إرادة جماعية لاستعادة السيادة وتحقيق الكرامة والعدالة الاجتماعية. [3]

و تظهر تجليات نظرية فانون حول العنف التحرري في خطاب بعض الحركات الإسلامية المعاصرة، رغم الاختلاف الإيديولوجي الجوهري بينها وبين فانون. فنجد في خطاب هذه الحركات استلهاما غير مباشر لأطروحة فانون حول ضرورة العنف المضاد في مواجهة العنف الاستعماري، وإن كان ذلك يتم توظيفه في إطار مرجعية دينية مختلفة. كما نجد استلهاماً لأطروحته حول ضرورة القطيعة مع النخبة المثقفة المستلبة وبناء وعي مقاوم يستمد مقوماته

---

[1] مصطفى حجازي، "التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص137.

[2] سعد الله ونوس، "بيانات لمسرح عربي جديد"، دار الفكر الجديد، بيروت، 1996، ص68.

[3] حميد دابشي، "ما بعد الاستشراق"، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015، ص203.

من الثقافة المحلية، وإن كان ذلك يتخذ في خطاب هذه الحركات شكل الدعوة إلى العودة إلى الأصول الدينية ومواجهة الغزو الثقافي الغربي.[1]

تتجلى أطروحات فانون حول العنف التحرري ومقاومة الاستعمار الجديد في حركات مناهضة العولمة النيوليبرالية التي ظهرت منذ نهاية القرن العشرين. فقد استلهمت هذه الحركات من تحليلات فانون حول الطبيعة العنيفة للنظام الرأسمالي العالمي وضرورة مواجهته بأشكال متنوعة من المقاومة. كما استفادت من نقده للنخبة البرجوازية المحلية المتواطئة مع قوى الرأسمالية العالمية، وتأكيده على دور الفئات المهمشة والشعبية في عملية التغيير. وقد تجلى ذلك في شعار هذه الحركات 'عالم آخر ممكن' الذي يعكس رفضاً للحتمية النيوليبرالية ويؤكد على إمكانية بناء نظام عالمي بديل أكثر عدالة وإنسانية.[2]

نظرية العنف التحرري لفانون ما زالت تلهم حركات المقاومة المعاصرة رغم تحول أشكال الصراع والسياق العالمي. العنف المقاوم لم يعد مجرد فعل مادي بل أصبح أيضا رمزيا وثقافيا يهدف لاستعادة الكرامة والوعي المسلوب.

2. البدائل المعاصرة للعنف كأداة للتغيير

أ- المقاومة السلمية والعصيان المدني

إن العنف لا يمكن أن يكون أساسا للحضارة، إنما هو وسيلة قد تقتضيها ظروف استثنائية، غير أن بناء المجتمع الجديد يتطلب استراتيجية سلمية تمتد في التاريخ وتتغلغل في البنى الاجتماعية والثقافية[3]، و العنف الثوري الذي دعا إليه فانون كان حتمية فرضتها الطبيعة العنيفة للنظام الاستعماري الفرنسي في الجزائر، غير أن الحركات التحررية المعاصرة قد طورت أشكالاً نضالية جديدة تتجاوز ثنائية العنف واللاعنف، معتمدة على استراتيجيات متنوعة تستجيب للتحولات السياسية والاجتماعية العالمية الراهنة[4]

وإن تجربة غاندي في الهند، رغم اختلافها الجذري عن التوجه الفانوني، قد حققت نجاحا باهرا في مواجهة الاستعمار البريطاني، وهو ما يفتح الباب لإعادة النظر في حتمية العنف كطريق وحيد للتحرر. فالمقاومة السلمية ليست استسلاما أو خضوعا بل هي استراتيجية سياسية متكاملة تستهدف تفكيك بنية الهيمنة الاستعمارية دون

---

[1] أحمد شوقي بنبين، "العنف في الخطاب السياسي المعاصر"، منشورات الزمن، الرباط، 2013، ص. 116.

[2] إيمانويل والرشتاين، "نهاية العالم كما نعرفه"، ترجمة فاروق القاضي، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص178.

[3] مالك بن نبي، مرجع سبق ذكره ، ص107

[4] محمد حربي، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص217.

تبني منطقها العنيف[1] .فضرورة التمييز بين العنف كأداة تحرر وطني في سياق تاريخي محدد، والعنف كأيديولوجيا دائمة للتغيير السياسي والاجتماعي. فالعنف الذي دعا إليه فانون كان مرتبطًا بلحظة تاريخية معينة، وهي لحظة مقاومة النظام الاستعماري، بينما أصبحت المقاومة السلمية والعصيان المدني اليوم أدوات فعالة في مواجهة أنظمة الهيمنة الجديدة التي تتخذ أشكالاً أكثر تعقيدًا وتنوعا[2]

إن المقاومة الفعالة للهيمنة الاستعمارية الجديدة تتطلب استراتيجيات متعددة تجمع بين النضال الثقافي والسياسي والاقتصادي، وتتجاوز الثنائيات التقليدية التي هيمنت على الفكر التحرري في القرن العشرين، بما فيها ثنائية 'العنف/اللاعنف'. فالمقاومة السلمية اليوم، بأشكالها المختلفة، تمثل نمطًا نضاليا فعالاً خاصة في سياق عالمي يتميز بالترابط المعقد وثورة الاتصالات[3]

المقاومة السلمية والعصيان المدني يمثلان تطويرا للفعل النضالي يتجاوز ثنائية العنف/اللاعنف التي هيمنت على الفكر التحرري. هي استراتيجيات متطورة تستجيب للسياق العالمي المعاصر وتوظف التناقضات داخل المنظومة المهيمنة نفسها.

ب- النضال الحقوقي والقانوني

يعد النضال الحقوقي والقانوني أحد أهم البدائل المعاصرة للعنف في مواجهة الكولونيالية الجديدة. لقد شكلت المنظومة الدولية لحقوق الإنسان والقانون الدولي، رغم تحيزاتها البنيوية، فضاء جديدًا للنضال ضد أشكال الهيمنة الكولونيالية الجديدة. فمن خلال توظيف المواثيق والاتفاقيات الدولية، استطاعت الشعوب المستضعفة انتزاع حقوقها في تقرير المصير والسيادة على الموارد الطبيعية، متجاوزة بذلك منطق المواجهة المسلحة الذي هيمن على حركات التحرر الوطني في النصف الأول من القرن العشرين[4]

وإن التحول الذي شهدته حركات التحرر والمقاومة في العقود الأخيرة يتمثل في انتقالها من العنف الثوري كأداة وحيدة للتغيير إلى استراتيجيات متعددة تجمع بين النضال السياسي والثقافي والحقوقي. فقد أصبحت المحافل

---

[1] عبد الله العروي، مرجع سبق ذكره ، ص145.

[2] محمد أركون، "الفكر الإسلامي: قراءة علمية"، الطبعة الثالثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1996، ص193.

[3] إدوارد سعيد، "الثقافة والإمبريالية"، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014، ص325.

[4] عمار بلحسن، "العالم الثالث وتحديات التنمية في ظل النظام العالمي الجديد"، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص178.

الدولية وآليات حقوق الإنسان فضاءات مهمة للنضال ضد الهيمنة الاستعمارية الجديدة التي تتجلى في سيطرة الشركات متعددة الجنسيات على الموارد الطبيعية واحتكار التكنولوجيا وهيمنة النماذج الثقافية الغربية[1], فأهمية توظيف المنظومة القانونية والحقوقية الدولية رغم تناقضاتها الداخلية في مواجهة الظواهر الاستعمارية الجديدة. فقد استطاعت العديد من الشعوب الأصلية في أمريكا اللاتينية، على سبيل المثال، استعادة حقوقها في الأرض والموارد الطبيعية من خلال توظيف المواثيق الدولية لحقوق الشعوب الأصلية، متجاوزة بذلك المنطق القانوني الذي يحصر أدوات التحرر في المواجهة المسلحة[2]

و لقد شكل مبدأ السيادة الدائمة على الموارد الطبيعية الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1962، رافعة أساسية للنضال ضد الهيمنة الاقتصادية الاستعمارية. فمن خلال توظيف هذا المبدأ، استطاعت العديد من الدول النامية استعادة السيطرة على ثرواتها الطبيعية وإعادة التفاوض حول الاتفاقيات الاقتصادية غير المتكافئة التي فرضتها القوى الاستعمارية. هذا النمط من النضال الحقوقي والقانوني يمثل بديلاً فعالاً عن العنف الذي دعا إليه فانون، حيث يستثمر التناقضات داخل المنظومة الليبرالية الغربية نفسها لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية هامة[3]

النضال الحقوقي والقانوني يمثل تحولًا استراتيجيا في مقاومة الاستعمار الجديد من خلال توظيف آليات المنظومة الدولية ذاتها. هو مسار نضالي يستثمر التناقضات داخل الخطاب الليبرالي العالمي ويحول مبادئه المعلنة إلى أدوات فعلية للمقاومة.

ج- بدائل التحرر في عصر العولمة

مع تطور ظاهرة العولمة وتغير أشكال الهيمنة الكولونيالية، ظهرت بدائل جديدة للتحرر تتجاوز الأطر التي وضعها فانون. فإن مواجهة العولمة بمنطقها الاستعماري الجديد تتطلب استراتيجيات مبتكرة تتجاوز المقاربات التقليدية للتحرر الوطني. فبناء التكتلات الإقليمية، وتطوير نماذج تنموية بديلة، والتمسك بالخصوصية الثقافية مع الانفتاح الواعي على القيم الإنسانية المشتركة، تمثل اليوم أدوات فعالة في مواجهة الهيمنة العالمية. إن الثورة المعلوماتية

---

[1] فاطمة المرنيسي، "نساء على أجنحة الحلم"، الطبعة الثانية، دار الفنك، الدار البيضاء، 1998، ص123.

[2] المنصف المرزوقي، "ثقافة الحرية"، الطبعة الأولى، دار الجنوب للنشر، تونس، 2003، ص156.

[3] سليمان الشيخ، "الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين: دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة"، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص209.

والاتصالية، التي تشكل أحد أهم آليات الهيمنة في عصر العولمة، يمكن أن تتحول إلى أداة للتحرر إذا استطاعت الشعوب المستضعفة امتلاك أدواتها وتوظيفها بشكل إبداعي في معركة الوعي والتنمية[1], و إن التحرر الحقيقي من الكولونيالية الجديدة يتطلب تطوير استراتيجيات تنموية بديلة تقوم على فك الارتباط النسبي مع النظام الرأسمالي العالمي وبناء أنماط إنتاج وتبادل تخدم مصالح الشعوب وليس مصالح الشركات متعددة الجنسيات. هذا النمط من المقاومة يتجاوز الإطار القانوني للعنف الثوري، مقدما رؤية بديلة للتحرر تقوم على بناء القدرات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وتحقيق الاكتفاء الذاتي في المجالات الاستراتيجية[2]

فأهمية المقاومة الثقافية كأداة فعالة في مواجهة الهيمنة الكولونيالية الجديدة التي تتجلى في سيطرة نماذج ثقافية وفكرية غربية تدعي العالمية والحياد. فاستعادة السردية التاريخية، وإعادة الاعتبار للتراث الثقافي والفكري للشعوب المستعمرة، وتطوير نظريات معرفية بديلة تتجاوز المركزية الغربية، كلها أدوات فعالة في مواجهة الاستعمار الثقافي والمعرفي. هذه المقاومة الثقافية تتجاوز منطق العنف الذي هيمن على الفكر الفانوني، مقدمة رؤية أكثر عمقا وشمولية للتحرر تربط بين البعد السياسي والاقتصادي والثقافي[3]

لقد أفرزت العولمة إلى جانب آليات الهيمنة الجديدة فضاءات جديدة للمقاومة، حيث أصبح المجتمع المدني العالمي قوة فاعلة في مواجهة الكولونيالية الجديدة. فشبكات التضامن العالمي، والمنتديات الاجتماعية العالمية، والحركات الاجتماعية العابرة للحدود، استطاعت في العديد من المحطات إفشال مشاريع الهيمنة الاقتصادية والسياسية للقوى الكبرى والمؤسسات المالية الدولية. إن هذا النمط الجديد من المقاومة يتجاوز الإطار القومي الضيق الذي هيمن على فكر حركات التحرر الوطني، بما فيها الفكر الفانوني، مؤسسا لرؤية كونية للتحرر تنطلق من التضامن الإنساني ضد كل أشكال الهيمنة والاستغلال[4]

---

[1] محمد عابد الجابري، "العرب والعولمة"، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص143.

[2] سمير أمين، مرجع سبق ذكره ، ص187.

[3] عبد الإله بلقزيز، "العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012، ص124.

[4] برهان غليون، "نقد السياسة: الدولة والدين"، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007، ص231.

العولمة رغم كونها أداة للهيمنة، أتاحت فضاءات جديدة للمقاومة عبر شبكات التضامن العالمي والحركات العابرة للحدود. هي ساحة صراع متجددة تتطلب استراتيجيات مبتكرة تجمع بين النضال السياسي والاقتصادي والثقافي وتتجاوز الأطر التقليدية للتحرر.

خلاصة الفصل الثالث:

في ختام هذا الفصل، يتضح لنا أن العنف الاستعماري لا يزال يلقي بظلاله على العالم المعاصر، وإن بأشكال متحولة ومتجددة. فقد تركت الكولونيالية جروحاً عميقة في النسيج النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمجتمعات المستعمرة، وهي جروح لم تندمل بعد رغم مرور عقود على الاستقلال الشكلي لهذه المجتمعات فإن استمرارية العنف في إطار الكولونيالية الجديدة تتجلى في العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة، والهيمنة الثقافية والتدخلات السياسية، والأطر القانونية والمؤسساتية الدولية التي تكرس علاقات القوة غير المتكافئة. هذه الأشكال الجديدة من العنف، رغم أنها أقل وضوحاً من العنف المباشر، إلا أنها لا تقل فعالية في إدامة الهيمنة والسيطرة

كما تظل أفكار فرانز فانون حول العنف وعلاقته بالتحرر والكرامة الإنسانية ذات صلة وثيقة بواقعنا المعاصر، فرغم أن السياق التاريخي قد تغير، إلا أن الجدلية الأساسية التي طرحها فانون حول العنف كأداة للقمع والتحرير في آن واحد، لا تزال محل نقاش ودراسة. ومع ذلك فإن تطورات العصر الحديث قد فتحت آفاقاً جديدة للنضال والمقاومة، تتجاوز العنف التقليدي إلى أشكال أخرى من المقاومة السلمية والنضال الحقوقي والقانوني هذه البدائل رغم محدوديتها في بعض السياقات تقدم إمكانيات واعدة للتغيير والتحرر، خاصة في عصر أصبحت فيه المعلومات والاتصالات أدوات قوية في يد الشعوب المضطهدة.

الخاتمة

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة حول "العنف عند فرانز فانون وآثاره وإسقاطاته على الكولونيالية المعاصرة" إلى مجموعة من النتائج المهمة. فقد كشفت الدراسة عن الأبعاد العميقة لنظرية العنف الفانونية، ودورها في تأسيس خطاب تحرري مضاد للاستعمار. وقد أظهرت التحليلات أن فانون لم ينظر إلى العنف كغاية في حد ذاته، بل كضرورة تاريخية وأداة لتحرير الذات المستعمرة من قيود الهيمنة الاستعمارية وآثارها النفسية والاجتماعية المدمرة.

كما أبرزت الدراسة العلاقة الجدلية بين عنف المستعمر وعنف المستعمر، وكيف أن العنف الاستعماري البنيوي هو الأساس الذي يولد العنف المضاد. وتوصلت الدراسة إلى أن نظرية العنف عند فانون، رغم ارتباطها بسياق تاريخي محدد، لا تزال تحتفظ براهنيتها في فهم وتحليل أشكال الهيمنة الكولونيالية الجديدة، خاصة في جوانبها الثقافية والاقتصادية.

وقد خلصت الدراسة إلى ضرورة إعادة قراءة أطروحات فانون حول العنف في ضوء التحولات العالمية المعاصرة، مع ضرورة تجاوز الفهم السطحي لها، والتركيز على أبعادها التحررية والإنسانية. كما أكدت الدراسة على أهمية توظيف المقاربة الفانونية في تحليل الصراعات المعاصرة في العالم الثالث، واستكشاف آليات جديدة للمقاومة والتحرر تتجاوز العنف المادي المباشر، مع الحفاظ على جوهر الفكر التحرري الفانوني المتمثل في استعادة الكرامة الإنسانية والهوية الثقافية للشعوب المضطهدة.

إن تناول مسألة العنف في فكر فرانز فانون لا يمكن عزله عن رؤيته الشاملة للتحرر الإنساني والاجتماعي. فالعنف عنده ليس مجرد استراتيجية سياسية عابرة، بل هو عملية تطهيرية نفسية واجتماعية تستهدف تحرير الذات المستعمرة من الرواسب النفسية للاستعمار، وإعادة بناء الإنسان المقهور من جديد. ومن هنا، فإن قراءة نظرية العنف الفانونية تستلزم ربطها بمفاهيمه الأخرى، كالعنصرية، والثقافة الوطنية، والاغتراب، والجسد، والمرض النفسي الاستعماري.

وتجدر الإشارة إلى أن التحليل الفانوني يكتسب أهمية استثنائية في فهم الأبعاد النفسية للاستعمار وآثاره المديدة التي تتجاوز مرحلة الاستقلال السياسي الرسمي. فقد نجح فانون في الكشف عن آليات الاستبطان النفسي للهيمنة الاستعمارية، وكيفية تغلغلها في اللاوعي الجمعي للشعوب المستعمرة، مما يفسر استمرار أنماط التبعية والاغتراب الثقافي حتى بعد زوال الاستعمار المباشر.

ومن الملاحظات المهمة التي ينبغي إضافتها أن العنف في المنظور الفانوني ليس مجرد ممارسة مادية، بل هو أيضاً موقف وجودي وفلسفي يتجاوز المفهوم الشائع للعنف. فهو يشمل كل أشكال المقاومة الجذرية للنظام الاستعماري

ومنطقه، بما في ذلك أ شكال المقاومة الثقافية والرمزية والاقتصادية. وهذا التوسع في مفهوم العنف يفتح آفاقاً جديدة لفهم أشكال المقاومة المعاصرة، التي قد لا تتخذ بالضرورة شكل المواجهة المسلحة، ولكنها تستهدف تفكيك بنى الهيمنة الكولونيالية الجديدة.

كما ينبغي التنويه إلى التناقض الظاهري في موقف فانون من العنف، والذي يمكن تفسيره من خلال التمييز بين بعدين متكاملين في فكره: البعد التحليلي الذي يرصد واقع العنف البنيوي للنظام الاستعماري وآثاره المدمرة، والبعد الاستشرافي الذي يتطلع إلى تجاوز العنف نحو إنسانية جديدة. فالعنف الثوري عند فانون هو مرحلة انتقالية ضرورية، وليس غاية في حد ذاته، وهدفه النهائي هو بناء عالم خال من علاقات الهيمنة والاستغلال.

وفي سياق تحليل راهنية فكر فانون، لا بد من الإشارة إلى أهمية أطروحاته في نقد الدور المزدوج للنخب الوطنية في مرحلة ما بعد الاستعمار، إذ كثيراً ما تتحول هذه النخب إلى أداة لإعادة إنتاج البنى الاستعمارية، وهو ما يفسر العديد من أزمات التنمية والديمقراطية في دول العالم الثالث. فقد قدم فانون في كتابه "معذبو الأرض" تحليلاً استشرافياً دقيقاً لمآلات الاستقلال الوطني، وخطر تحول البرجوازية الوطنية إلى وكيل للمصالح الاستعمارية الجديدة.

ومن النقاط التي تستحق التوسع أيضاً، أهمية المقاربة الفانونية في تحليل ظاهرة الإرهاب المعاصر، ليس كتبرير له، بل كمحاولة لفهم جذوره العميقة في سياق استمرار العنف البنيوي للنظام العالمي وتفاقم آليات التهميش والإقصاء. فالتحليل الفانوني يساعدنا على تجاوز المقاربات الأمنية والأخلاقية المبسطة للظاهرة، نحو فهم أعمق لمنابعها السوسيونفسية والسياسية.

كما يمكن الإشارة إلى أهمية إعادة قراءة فانون في ضوء تنامي حركات المقاومة المناهضة للعولمة النيوليبرالية والإمبريالية، والتي تستلهم - بوعي أو بغير وعي - الكثير من أفكاره حول آليات الهيمنة العالمية وسبل مقاومتها. فرغم اختلاف السياق التاريخي، تظل تحليلاته للعلاقات الاستعمارية ذات قيمة تفسيرية كبيرة لفهم ديناميات النظام العالمي المعاصر.

وأخيراً، لابد من التأكيد على أن الإرث الفكري لفانون، بتعقيداته وتناقضاته، يشكل مصدراً إلهامياً لكل حركات التحرر المعاصرة، ليس فقط في بعده التحليلي النقدي، بل أيضاً في بعده الإنساني الذي يتطلع إلى بناء عالم أكثر عدلاً وإنسانية. فنظرية العنف عند فانون، حين تقرأ في سياقها الشامل، ليست دعوة للانتقام أو التدمير، بل هي صرخة من أجل استعادة الإنسانية المسلوبة وتأسيس علاقات إنسانية جديدة تتجاوز منطق السيد والعبد، نحو أفق كوني مشترك.

وبناء على ما سبق، تقترح الدراسة فتح مجالات بحثية جديدة حول:

الخاتمة

1. الأبعاد النفسية والاجتماعية للكولونيالية الجديدة وآثارها على الهوية والذاكرة الجماعية للشعوب المقهورة.
2. دور المثقف العضوي، بالمفهوم الفانوني، في مواجهة تحديات العولمة والهيمنة الثقافية.
3. تطوير استراتيجيات مقاومة معاصرة تستلهم الرؤية التحررية لفانون، مع تجاوز النزعة العنفية في فكره.
4. دراسة الآثار النفسية والاجتماعية للعنف الاستعماري المديد على المجتمعات ما بعد الكولونيالية، وآليات تجاوز هذه الآثار.
5. العلاقة بين النظرية الفانونية وقضايا معاصرة كالهجرة، والعنصرية، والنزاعات الإثنية والهوياتية.

إن هذه المجالات البحثية المقترحة تعكس حاجتنا المستمرة إلى قراءة متجددة لفكر فانون، تتجاوز الاستخدام الأيديولوجي المبسط له، نحو استثمار عميق لأدواته التحليلية وآفاقه التحررية في فهم ومواجهة تحديات العصر.

قائمة المراجع

أولا : المصادر :

1.فرانز فانون، "معذبو الأرض"، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، 1963.

2.فانون فرانز، بشرة سوداء، أقنعة بيضاء، ترجمة: محمد لطفي اليوسفي، الطبعة الأولى، دار سراس للنشر، تونس، 1995.

3.فانون فرانز، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال الأتاسي، الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985.

4.فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، بيروت: دار الفارابي، 1983.

المراجع بالعربية :

5.أحمد بن نعمان، الجزائر تحت الاستعمار: السياسة الاستعمارية وأثرها على المجتمع الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983

6. أحمد شوقي بنبين، "العنف في الخطاب السياسي المعاصر"، منشورات الزمن، الرباط، 2013.

7. إدوارد سعيد، "الثقافة والإمبريالية"، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014.

8. إدوارد سعيد، "الثقافة والإمبريالية"، ترجمة: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014.

9.أشيل مبيمبي، "نقد العقل الزنجي"، ترجمة سعيد العليمي، دار التنوير، بيروت، 2015، ص93.

10. أليس شريف، "فرانز فانون والثورة الفلسطينية"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 25، العدد 3، 2014.

11. أمين سمير، "التطور اللامتكافئ: دراسات في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية"، دار الطليعة، بيروت، 1974.

12. أنور عبد الملك، "دراسات في الثقافة الوطنية"، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999.

13. إيريك سيلفين، "فانون والسياسة الثورية"، ترجمة حسام نايل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.

14. إيمانويل والرشتاين، "نهاية العالم كما نعرفه"، ترجمة فاروق القاضي، دار الشروق، القاهرة، 2004.

15. باتريك بوند، "المؤسسات المالية الدولية والهيمنة العالمية"، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2009.

16. برتراند راسل، السلطة والفرد، ترجمة شاهر الحمود، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، 2010.

17. بعلي حفناوي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.

18. بن مزيان عبد الرحمن، "التأثيرات السيكولوجية للاستعمار الفرنسي في الجزائر"، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2010.

19. بن نبي مالك، شروط النهضة، الطبعة السادسة، دار الفكر، دمشق، 2008.

20. بورديو بيير، "الرمز والسلطة"، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007.

21. بول كينيدي، "صعود وسقوط القوى العظمى"، ترجمة مالك البديري، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998.

22. بيار بورديبه، "أسئلة علم الاجتماع"، ترجمة إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995.

23. بيير بورديو، "العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع التربوي"، ترجمة نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1994.

24. بيير بورديو، "الهيمنة الذكورية"، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009.

25. تيد روبرت غار، "لماذا يتمرد البشر"، ترجمة عمر الأيوبي، دار الساقي، بيروت، 2004.

26. جعيط هشام. الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي. بيروت: دار الطليعة، 1984.

27. جوزيف ستيغليتز، "العولمة ومساوئها"، ترجمة فالح عبد الجبار، عالم المعرفة، الكويت، 2003.

28. حربي محمد، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، الطبعة الأولى، دار الأمة، الجزائر، 1994.

29. حربي محمد، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994.

30. حميد دابشي، "ما بعد الاستشراق"، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015.

31. حنة أرندت، "في العنف"، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1996.

32. حنة أرندت، في العنف، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، 1996..

33. الخطيبي عبد الكبير، في الكتابة والتجربة، ترجمة: محمد برادة، الطبعة الأولى، دار العودة، بيروت، 1980.

34. خولة طالب الإبراهيمي، "الاستعمار وقضايا الهوية الثقافية في الجزائر"، الطبعة الأولى، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013.

35. دافيد هارفي، "الإمبريالية الجديدة"، ترجمة حاتم حميد محسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.

36. روبرت مكلفين، "مدخل إلى علم النفس الاجتماعي"، ترجمة ياسمين حداد وآخرون، دار وائل للنشر، عمان، 2002.

37. رودني والتر، كيف أخرت أوروبا نمو إفريقيا. ترجمة: أحمد القصير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.

38. سبيلا محمد، الحداثة وما بعد الحداثة، الطبعة الثالثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2007.

39. سعد الله أبو القاسم. الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945. الجزء الثالث. الجزائر: دار الغرب الإسلامي، 1992.

40. سعد الله أبو القاسم، "الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900"، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

41. سعد الله ونوس، "بيانات لمسرح عربي جديد"، دار الفكر الجديد، بيروت، 1996.

42. سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، الطبعة الرابعة، دار الآداب، بيروت، 2014.

43. سليمان الشيخ، "الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين: دراسة تحليلية في تاريخ الحركة الوطنية والثورة المسلحة"، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1997.

44. عبد الكبير الخطيبي، "النقد المزدوج"، الطبعة الثانية، منشورات عكاظ، الرباط، 2000.

45. عبد الله العروي، مفهوم العنف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007.

46. عدلي السمري، العنف في الأسرة: دراسة سوسيولوجية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004.

47. العروي عبد الله، مفهوم الإيديولوجيا، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993.

48. عزت سيد إسماعيل، سيكولوجية التطرف والإرهاب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.

49. عمار بلحسن، "العالم الثالث وتحديات التنمية في ظل النظام العالمي الجديد"، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

50. فاطمة المرنيسي، "نساء على أجنحة الحلم"، الطبعة الثانية، دار الفنك، الدار البيضاء، 1998.

51. كمال رمضاني و عبد المجيد عمراني سيكولوجيا الاستعمار من منظور فرانز فانون مجلة العبر للدراسات التاريخية وا ُلاثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05العدد: 01 .

52. الكنز علي، "من الاستعمار إلى ما بعد الاستقلال: المجتمع الجزائري والتحولات البنيوية"، الطبعة الأولى، منشوراتCRASC ، وهران، 2005.

53. كورنل ويست، "العرق والمسألة"، ترجمة: لمياء محمود، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

54. ماحوب الحق، "العنف والمقاومة في جنوب آسيا"، ترجمة طلعت الشايب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2014.

55. محمد أركون، "الفكر الإسلامي: قراءة علمية"، الطبعة الثالثة، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1996.

56. محمد الميلي، "المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر وفي الثورة التحريرية"، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

57. محمد الميلي، "مواقف جزائرية"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

58. محمد حربي، "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض"، ترجمة نجيب عياد وصالح المثلوثي، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1994.

59. محمد شوقي الزين، "فرانز فانون: جدلية الذات والآخر"، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.

60. محمود درويش، "في حضرة الغياب"، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2006.

61. محمود ممداني، "المواطن والرعية: إفريقيا وإرث الاستعمار المتأخر"، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، دار العين للنشر، القاهرة، 2012.

62. المنصف المرزوقي، "ثقافة الحرية"، الطبعة الأولى، دار الجنوب للنشر، تونس، 2003.

63. مهري عبد الحميد. "الثورة الجزائرية والتحول الديمقراطي". مجلة المستقبل العربي. عدد 120، 1989.

64. نانسي شيبر-هيوز، "الموت بلا بكاء: العنف في الحياة اليومية في البرازيل"، ترجمة مصطفى خالد فؤاد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

65. نايجل سي غيبسون، "فانون: المخيلة بعد الاستعمار"، ترجمة خالد عايد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2013.

66. نصر حامد أبو زيد، "الخطاب والتأويل"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.

67. نكروما كوامي، الكولونيالية الجديدة: آخر مراحل الإمبريالية. ترجمة: أحمد القصير. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.

68. ولد خليفة محمد العربي، "المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية"، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

69. يوهان غالتونغ، "العنف والسلام والبحث عن السلام"، ترجمة سعد رستم، دار الفارابي، بيروت، 2005.

ثالثا: المجلات :

70. محمد عبده محجوب، العنف في الحياة اليومية في المجتمع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 2003.

71. عبد الله العروي، "ثقافتنا في ضوء التاريخ"، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997.

72. مصطفى حجازي، "الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.

73. إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1997).

74. مصطفى حجازي، "التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.

75. من العنف الاجتماعي إلى ممارسة العنف التربوي مع دراسة للوظيفة العلاجية للفن"، مجلة دراسات وأبحاث، المجلد 5، العدد 1، 20 ديسمبر 2011.

76. محمد عابد الجابري، "العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

77. محمد عابد الجابري، "العرب والعولمة"، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.

78. موقف فرانز فانون من الإمبريالية ودعوته لوحدة الشعوب الإفريقية من منبر دبلوماسية الثورة الجزائرية"، مجلة الونشريس للدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 1، 31 جانفي 2023، ص. 9-40.

79. هومي بابا، "موقع الثقافة"، ترجمة: ثائر ديب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.

80. إيمان فتحي محمد حسن، الاستعمار: الأنواع والدواعي، مجلة الدراسات العربية، مجلد 48، العدد 4،جامعة المنيا، الجمهورية العربية المصرية، 2023 .

81. نغوغي واثيونغو، "تحرير العقل: دراسات في السياسة اللغوية الإفريقية"، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

82. إيلينغا م'بوكولو، "أفريقيا والثورة الجزائرية"، ترجمة: عبد السلام حيدر، الطبعة الأولى، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، 2012.

83. برهان غليون، "نقد السياسة: الدولة والدين"، الطبعة الثالثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007.

84. بوفنتورا دي سوزا سانتوس، "نحو علم اجتماع الغيابات"، ترجمة إبراهيم العيسوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.

85. الجابري محمد عابد، المسألة الثقافية في الوطن العربي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

86. جاك ديشان، العنف في العالم المعاصر، ترجمة نبيل أبو الهيجاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2008..

87. جون بيفرلي، "ضد الأدب"، ترجمة ثائر ديب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2016.

88. حرب علي، حديث النهايات، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004.

89. شريط عبد الله، "العنف والثورة عند فرانز فانون"، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 42، 2005.

90. عبد الإله بلقزيز، "العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، الطبعة الثانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2012.

91. عبد الرحمن عزي، "الإعلام وتفكك البنى الثقافية في المنطقة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

92. عبد السلام محمد الشاذلي، "قانون في الجزائر: دراسة في فكره السياسي"، دار المعارف، القاهرة، 1970.

رابعا: الرسائل الجامعية:

93. مديحة عتيق، "ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، أطروحاتها"، *مجلة دراسات وأبحاث*، المجلد 7، العدد 18، 15 مارس 2015.

94. مزيان عبد المجيد، "السيكولوجيا الاجتماعية للاستعمار: دراسة حالة الجزائر"، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2003.

95. آمنة صيافة وسلمى عفايفية، *الثورة الجزائرية في عامها الخامس من خلال كتاب فرانز فانون*، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، تخصص المغرب العربي المعاصر، جامعة 8 ماي 1945 – قالمة، 2021/2020.

المراجع الأجنبية:

96. Alice Cherki, Frantz Fanon: Portrait, Paris: Seuil, 2000.

97. Frantz Fanon, Pour la Révolution Africaine: Écrits politiques, Paris: François Maspero, 1964.

98. Gérard Chaliand (ed.), The Wretched of the Earth, New York: Grove Press, 1963.

99. Hannah Arendt, On Violence, New York: Harcourt, Brace & World, 1970.